وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة–

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: م أ ع/2014/338

تجليات الحزن في الشعر الثوري الجزائري

"مفدي زكريا" ـ أنموذجا ـ

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي **فرع:** أدب عربي **تخصص:** أدب جزائري

إعداد الطالبة:

– حنان نويصر

إشراف الدكتور:

عز الدين عماري

السنة الجامعية: 2015– 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . .﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

أتقدم بخالص الشكر الجزيل و العرفان بالجميل و الاحترام و التقدير لمن غمرني بالفضل و اختصني بالنصح و تفضل علي بقبول الإشراف على رسالة الماستر أستاذي و معلمي الفاضل الأستاذ **"عزالدين عماري"** الذي سهل لي طريق العمل ولم يبخل عليا بنصائحه القيمة ، فوجهني حين الخطأ وشجعني حين الصواب ، فكان قبس الضياء في عتمة البحث وكان نعم الناصح ومنحني الثقة و غرس في نفسي قوة العزيمة ولم يدخر جهدا ولم يبخل عليا من وقته الثمين

أبقاه الله ذخرا لطلبة العلم و جعل ذلك في ميزان حسناته و أرضاه بما قسم له

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الفاضل **"خليف مهديد"** على مساندته لي وعلى توجيهاته القيّمة التي أنار لي بها طريق العلم والمعرفة، وأنار طريق الكثيرين من أمثالي، خدمة للعباد والبلاد ، فجزاه الله عنا ألف خير وجعلها في ميزان حسناته وأنار دربه وزاده نورا وعلما ،

كما أشكر كل أساتذة قسم الأدب العربي

وفي الأخير نشكر كل طاقم مكتبة المنتدى

مُقَدِّمَة

مقدمة :

إن ظاهرة الحزن ليست في منأى عن حيز الدراسة، حيث أنها رافقت الشعر منذ بزوغه الأول وتفجره، وهي ظاهرة قديمة قدم الجذور الإنسانية، فالشاعر بن بيئته يؤثر ويتأثر لذلك نجد ذاته تخضع للعديد من المشاعر والأحاسيس المتناقضة، من فرح وقرح وأمل وألم وسراء وضراء ورضا وسخط وسعادة وحزن، وغيرها من المشاعر التي تتسلط على ذات الإنسان فتشكل رؤيته للحياة والوجود.

و لأن الأدب مرآة للواقع، فلا بد أن تلقى هذه المشاعر بظلالها على الأدب فنلمس فيه آثار هذه المشاعر، وكما نعلم فالجزائر عانت من ويلات المستدمر الغاشم الذي ترك آهات وآنات وأحزان في نفس كل جزائري، ولأن الشعر قلب المجتمع ينبض بنبضاته ويدق بدقاته وهو وعاء حامل لهموم الناس لهذا نجده يتطور بتطور الحياة ويسعى للتغيير والتجديد، حتى يتمكن من استيعاب الحياة بكل جوانبها.

و من الشعراء الجزائريين الذين كانت القضية الجزائرية همهم الأول والاستقلال طموحهم، مفدي زكرياء الذي علمنا كيف يكون الشعر سلاحا يهابه المحتل، وكيف يكون حافزا ودافعا قويا للمجاهدين والثوار، كيف لا وهم يرتلون شعره في الجبال والمداشر، كيف لا ونشيد قسما يدوي في سماء الجزائر، بل وفي العالم أجمع، لذلك يعد مفدي زكريا شاعرا من الشعران الذين مثلوا عصر الثورة التحريرية الجزائرية ليظهر نموذجا صور ظاهرة الحزن في شعره، إلى جانب مظاهر أخرى كالشجاعة والإباء وبعث التفاؤل على رغم العدا والشجن المحدق به، والقارئ بحق لشعر مفدي زكريا لاتتضح له عوالم الحزن جلية إذ هي مُكَناة في تفاؤله وشجاعته غير أنها موجودة بالفعل.

و وسم عنوان هذا البحث "تجليات الحزن في الشعر الثوري الجزائري، مفدي زكريا أنموذجا"، ولمعالجة هذا الموضوع انطلقنا من **إشكالية أساس** وهي :

كيف تجلت ظاهرة الحزن في الشعر الجزائري الثوري عموما،وشعر مفدي زكريا تحديدا؟

وتفرعت عن هذه الإشكالية جملة من **التساؤلات الفرعية** منها :

- هل الحزن متوقف على عصر دون آخر أم هو ممتد عبر العصور؟.
- هل مفدي زكريا امتاز شعره بغرض اوحد وهو الحزن؟.
- هل الشعر الذي يبث الحزن مشروط بالبعد الجغرافي فحسب؟.
- هل للمكان والزمان تأثير على شاعرية الشاعر؟.
- ما ميزة شعر الحزن عند مفدي زكريا؟.

ولهذا الموضوع **أهمية مستمدة** من حيث هو إضاءة لبقعة من مسار الشعر العربي عموما والشعر الجزائري خصيصا، خاصة إذا تعلق الأمر بشخصية فذة تمثلت في مفدي زكريا الذي قُرن إسمه باسم الثورة المجيدة، كما تبرز أهميته للبحث في أنه يريد معرفة الآخر (المستعمر)، وطرائقه ووسائله ومناهجه الممارسة على الشعب الجزائري خصوصا، وباقي المستعمرات عموما كالجارة تونس.

وإن من **أسباب** اختيار هذا الموضوع، ماهو ذاتي وما هو موضوعي نلخصها فيما يأتي:

أ. حب الاطلاع والاثراء المعرفي في الميدان الأدبي الشعري لاسيما الشعر الثوري البطولي.

ب. معرفة شعر الحزن وأسبابه عند الشاعر مفدي زكريا.

ج. معرفة ما صنعته يد الاستعمار من إجرام وانعكاسه على الحياة الأدبية إلى جانب الأبعاد الحياتية الأخرى.

د. تبيين المؤثرات والدوافع التي استنطقت مفدي زكريا، لينتهج هذا اللون الشعري.

أما **الأهداف** المبتغاة من هذا البحث أن نعرف التاريخ الجزائري الحافل، ونعرف الآخر (الغرب الفرنسي)، وما أراده من بطش وبث الأحزان والآلام التي ذكرها مفدي زكريا في أشعاره ليوقظ الهمم ويشحذ العزائم ويوعي الشباب، كما يهدف إلى بيان نوعية الحزن عند مفدي زكريا.

وللإجابة على اشكالات البحث اتبعنا المنهج الوصفي الذي كان غالبا في البحث مع مراشقته ومراشفته لآلية التحليل وتقاطعه مع المنهج التاريخي، وهذا ما مكننا من الوقوف على الظاهرة ووصفها مع التحليل وتقصيها.

وقد اعتمدت في موضوع بحثي على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها :

- محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة.
- حواس بري.في شعرمفدي زكريا–دراسة وتقويم.
- صالح خرفي، أبو القاسم خمار "بين ثورة وشعر الثورة" دراسة نقدية.
- محفوظ كحوال، من أروع قصائد مفدي زكريا مع دراسة ادبية.

وكانت خطة البحث على النحو التالي :

مدخل وخصص في تحديد مفاهيم الدراسة، وقسم إلى ثلاثة عناصر وهي : مفهوم الحزن لغة واصطلاحا، وتناولناه في المعاجم و القرآن الكريم وعند علماء النفس، أما العنصر الثاني فكان في الشعر الثوري، و أما الثالث فكان في الحزن في شعرنا العربي، وتناولنا فيه الحزن في شعرنا القديم، وكذا الحزن في الشعر العربي الحديث.

وعنون **الفصل الأول** : بواعث ومكونات المعجم الشعري في شعر مفدي زكريا، وتمثلناه في ظاهرة التناص بأنواعه المختلفة من تناص ديني وأدبي وتاريخي وشعبي.

أما **الفصل الثاني** : فكان في دراسة فنية لظاهرة الحزن في شعر مفدي زكريا، وكان في عنصرين : أولا الأسلوب ودلالته و تمثل في أسلوب النداء وأسلوب الأمر وأسلوب التوكيد و الاستفهام وكدا توظيفه للضمائر مع ربط جميع هذه الأساليب بمظاهر الحزن.

أما العنصر الثاني، فكان في جمالية التصوير عند مفدي زكريا وكان في بعض المباحث منها الأنسة، والتشييء واستحضار الماضي وتوظيفه للطبيعة.

وأنهيت بحثي بخاتمة ذكرت فيها نتائج تم التوصل إليها مردوفة بقائمة المصادر والمراجع، مقفاة بفهرس الموضوعات.

أما عن **الصعوبات** التي اعترضت سبيل هذا البحث فهي تكمن في صعوبة دراسة هذه الظاهرة، خاصة في شعر مفدي زكريا، إلا بعد قراءة وتمعن لأن الشاعر غلب عليه الطابع الثوري التفاؤلي.

وفي نهاية هذا البحث أتقدم بالشكر إلى أستاذي الفاضل " عز الدين عماري" بإشرافه على مذكرتي، وكذا الأستاذ الفاضل "مهديد خليف" على مساندته لي طيلة هذا البحث ليصل إلى ما هو عليه في أبهى حلة.

وأعود بالشكر إلى أستاذي المشرف مرة أخرى على سعة صدره وصبره طيلة انجازي لهذا البحث.

مدخل

تحديد مفاهيم الدراسة

أولا : مفهوم الحزن.

ثانيا : الشعر الثوري.

ثالثا : الحزن في شعرنا العربي.

أولا: مفهوم الحزن

أ- الحزن لغة:

يعد الحزن حالة نفسية طبيعية تصيب الإنسان، فكلمة الحزن في اللغة العربية لها إيحاءات سلبية على نفسية الانسان، ونجد ذلك جليا في معاجم اللغة على اعتبار الحزن نقيضا للفرح وهذا نجده عند "ابن منظور" حيث يرى أن:" الحُزْن والحَزْن هما نقيضا الفرح، وهو خلاف السرور والجمع احزان. وقد حَزِن حَزَنًا وتَحَازَن وتَحَزَّن، ورَحَلَ حَزْنَان ومِحْزَان: شديد الحُزن".[1]

ويأتي الحزن بمعنى الغم، وفي ذلك يقال:" حزن الرجل أي اغتمَّ، احْزَن المكان: حَزُن،احزن بهم المنزل: بنابهم، وحزن فلان: صار في الحزن، حزَّن القارئ في قراءته: رققَّ صوته بها، تحازن: ادعى الحزن. والحَزْنُ من الأرض: ما غَلُظَ ، ومن الدواب ما صعبت رياضته، ومن الناس ما خشنت معاملته".[2]

واذا وردت كلمة "الحزن" في سياقها الإعرابي منصوبة رسموا فتحة فوق حرف الحاء والراء، مثل: وجدت الحَزْن، اما ان وردت الكلمة مكسورة او مرفوعة رسموا ضمة فوق حرف الحاء، ومثال ذلك: جاء والحُزْنُ معه. لذلك يقال "الحُزْن" او "الحَزَن" وفي ذلك يقول الخليل ابن احمد الفراهيدي :" روي عن ابي عمرو: اذا جاء الحزن منصوبا فتحوه، واذا جاء مكسورا او مرفوعا ضموه".[3]

كما وقد تحمل كلمة "الحزن" شيئا من دلالة الغلظة والخشونة وفي ذلك يقال:" الحَزَن كل ما غلظ من الارض واخشوشن، والحُزونة هي: الخشونة، والحُزَن هي الجمال والغلاظ، الحَزْن من الدواب ما خشن، والحزون هي الشاة السيئة الخلق".[4]

---

1 ابن منظور: لسان العرب، مادة (ح ز ن)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994، ص111.

2 مجمع اللغة العربية المصري، المعجم الوسيط، باب (حزن)،ج1، دار الجمهورية للصحافة، دط، 1985، ص177.

3 الفراهيدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج3، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامري، دط، دت، ص160.

4 ابن منظور: لسان العرب، مادة (ح ز ن)، ص114.

ويقول "ابن فارس" في ذلك :" الحاء والزاي والنون أصل واحد، وهو خشونة الشيء وشدة فيه، فمن ذلك الحَزَن، وهو ما غلظ من الأرض، الحُزْن معروف يقال حَزَنَنِي الشيء يَحْزُنُنِي، وقد قالوا احْزَنَنِي، وحُزَانَتُكَ اهلك ومن تتحزن له".[1]

وهكذا فالمعنى العجمي للحزن يدور في إطار ما فيه شدة وخشونة فهي تصيب النفس جراء الهم والغم الذي يكتنفها.

ب- الحزن اصطلاحا:

اختلفت وتعددت آراء العلماء في تحديد مفهوم دقيق للحزن تبعا لاختلاف أفكارهم ووجهات نظرهم.

- الحزن في القرآن الكريم:

يتكرر مصطلح "الحزن" في آيات القرآن الكريم أكثر من مرة، وفي مناسبات مختلفة يحمل دلالات حسب السياق والمقام ومن ذلك:

أ- الحزن هو "انفعال مضاد للفرح والسرور، وهو يحدث اذا فقد الإنسان شخصا عزيزا، او شيئا ذا قيمة كبيرة او اذا حلت به كارثة ما، او فشل في تحقيق امر هام، ويشعر الآباء والأمهات عادة بالحزن اذا ما غب أبناؤهم عنهم، او اذا ما لحق بهم اذى او أصابهم مكروه، وقد أشار القرآن الى حزن ام موسى عليه السلام حينما ابتعد عنها، بعد ان وضعته في صندوق وألقت به في النهر وقذف به الموج بعيدا عنها".[2]

وفي ذلك يقول عز وجل:﴿ وَرَدَدْنَاه إِلَى أُمِهِ كَيْ تَقَر عَينها وَلَا تَحْزن ... ﴾.[3]

ويقول تعالى: ﴿ فَرَجعْنَاك إِلَى أُمكَ كَيْ تَقَر عَينها وَلاَ تَحْزن ... ﴾.[4]

1 ابن فارس، ابو الحسن احمد: معجم مقاييس اللغة، مادة (حزن)، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1979،ص54.

2 محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، دار الشروق، ط6، ص100-101.

3 سورة القصص: الآية 13.

4 سورة طه: الآية 40.

أما عن دلالة "ولا تحزن" وفي هذه الآية _سورة طه_ " اي لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك"[1] بمعنى ان يطمئن قلبك ويرتاح." وما ورد في سورة القصص (الآية 13) يقتضي التفسير الاول، حيث الاخبار عن ام موسى عليه السلام".[2]

ب- يقول تعالى: ﴿ وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحَزَنَ انا ربنا لغفور شكور ﴾.[3]

فكلمة "الحزن" في هذه الآية تعني " حزن تقلب القلب، وخوف العاقبة وحزن هول البعث والموقف، وحزن النار، وحزن الخروج، وحزن الا يقبل عمل، وحزن خوف الشيطان، وحزن معيشة الدنيا كالكسب وكراء الداء، وحزن الآفات والمصائب، وكل مكروه".[4]

ج- وقد ذكر القران الكريم ايضا شعور الحزن الذي الم بأبي بكر رضي الله عنه، حينما كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الغار، وكان الكفار يطاردونهما لقتلهما، وفي ذلك يقول عز وجل ﴿ ... اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ... ﴾.[5]

"والمراد هنا بالنهي عن الحزن مجاهدة النفس وتوطينها على عدم الاستسلام".[6]

وطبيعي ان تسيطر على الإنسان مظاهر الخوف والفرح والحزن في مثل تلك المواقف، غير ان الحزن والخوف كان حاصلا لأبي بكر بقوله: "لا تحزن ان الله معنا".[7]

وفي هذه الآية اقترن الخوف بالحزن، فأبوبكر الصديق رضي الله عنه كان خائفا من أن تلم قريش بهما وينكشف أمرهما، وهذا الخوف والجزع سبب له حزنا كبيرا.

د- وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد ما يخاف على المسلمين من سخط الله وعذابه، فتجتاحه مشاعر الحزن حينما يرى الكفار لا يؤمنون بالله، وبما انزل عليه من القرآن،

---

1 عبدالرحمن المحمدي: تفسير سورة طه، مطبعة الفجر الجديد، ط1، 1990، ص97.

2 المرجع نفسه،ص97.

3 سورة فاطر: الآية 34.

4 اطفيش، الحاج محمد يوسف، تيسير التفسير، ج11، تحقيق محمد طلاي، المطبعة العربية، غرداية الجزائر، دط، دت، ص480.

5 سورة التوبة: الآية 40.

6 وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج13، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط1، دت، ص40.

7 المرجع نفسه، ج9، ص218.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾.[1]

وقوله تعالى: ﴿ قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾.[2]

وقوله تعالى: ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور ﴾.[3]

كما يظهر من خلال هذه الآيات تقارب كبير في مفهوم الحزن والهم والغم والخوف، وخلاصة القول في كل ذلك ان مصطلح "الحزن" تكرر وروده في القرآن الكريم عدة مرات، وفي سياقات مختلفة، وقد كان متقاربا مع بعض المعاني كالخوف والهم والغم والكآبة.

- الحزن في علم النفس:

يعتبر العالم النفساني " سيغموند فرويد (1939-1956م) ان مظاهر الحزن إنما تتجلى في المبدع عن طريق الاكتئاب الذي ينتابه، فالحضارة " في مطالبها المتعددة التي قد لا يقوى الفرد على تحقيقها تنتهي به الى ضرب من الاغتراب وكره الحياة التي يحياها".[4]

كما قد تتجلى مظاهر الحزن عن طريق بما يسمى بـ(النكوص) الذي هو" الرجوع و الارتداد..." والعودة الى مرحلة من مراحل العمر...، كما يمكن ان نجده في الشعر يتمظهر في الحنين الى الماضي عموما، وفي الحنين الى مرحلة الطفولة خصوصا" [5]. فالنكوص سلوك دفاعي لشخص " غير متكيف مع أنماط حياته الحاضرة، فهو لأسباب ما لا يستطيع إشباع حاجاته النفسية"[6].

---

1 سورة يس: الآية 76.

2 سورة الانعام: الآية 33.

3 سورة لقمان: الآية 23.

4 خير الله عصار: مقدمة لعلم النفس الادبي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دط، 1982، ص88.

5 المرجع نفسه، ص88.

6 المرجع نفسه:ص88

إن لعلم النفس نظرة عميقة للنفس البشرية وبما تعانيه من أحزان، لأن الحزن أساسا منشأه إحساس الشخص بعدم الرضا والتوافق مع مع المحيط الذي يحيا فيه، وهذا الإحساس بالخلل وعدم التوازن وبالقلق والاضطراب كفيل بأن ينتج لنا في الأخير إبداعا فنيا ترافقه نبرة حزن عميقة.

ثانيا: الشعر الثوري.

الشعر الثوري أداة فعالة من أدوات المقاومة والجهاد التي تستخدمها الشعوب في نضالها ضد الاستعمار " فبيت من الشعر بعث امة من مرقدها فاقتحمت غمار الحروب فاستردت مجدها وأحيته بعد الاندثار".[1]

فقد لعب الشعر دورا هاما عبر التاريخ في توعية الشعوب، فالشاعر كان ضمير الأمة وصوتها الذي لا ينام، ولا يسكت على ظلم ولا يطأطئ رأسه أبدا لطاغية وعندما نفرن الشعر بالثورة نجد أنفسنا أمام متعتين: متعة الفن الشعري بخياله وتصويره وموسيقاه، ومتعة الموضوع لزخمه ولوعته التي تركت آثارها على نفوس الشعوب المظلومة والمضطهدة.

فشعر الثورة كان صوتا صارخا بحب الوطن وكره المستعمر الظالم وبغضه، وهذا المنظور الذي يطرحه شعراء الثورة هو نابع من تصورهم للدور الذي يؤديه الشعر الثوري فـ"الثورة في حاجة الى صوت يحمس لها، اكثر من حاجتها الى نغمة تتغنى بها".[2]

فلكل ثورة او حركة تحديد شعرائها الذين يمثلون ضمير شعبها، ويصورون ما يخالج صدر هذا الشعب، فالشعر في طياته يحمل روح الثورة، فقد كان الشعراء يعيشون أفراح أمتهم وأحزانها بوجدانهم وبكل مشاعرهم" فأصبح كل الشعراء الثوريين ملتزمين بالقضايا الوطنية والعربية والإسلامية عاكسين كل الأحداث في شعرهم".[3]

---

1 محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985،ص5.

2 صالح خرفي: أطلس المعجزات، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1982،ص4.

3 صالح خرفي: ابو القاسم خمار"بين ثورة الشعر وشعر الثورة" دراسة نقدية، جمعية الإمتاع والمؤانسة، الجزائر،2004، ص6.

فأصبح بذلك الشعر روح الثورة، فهاهو الشاعر "احمد سحنون" يشير الى ان الشعر في حقيقته ثورة:

فَمَا الشِّعْرُ إلاَّ ثَوْرَةً غَيْرَ أَنَّهَا تَطُولُ بِلَا كَفٍ وَتَسْعَى بِلَا رَجُلٍ[1]

حتى أنه يمكن القول أن الشعر وجد ضالته في ثورة نوفمبر وأن الشعراء وجدوا أنفسهم فيها وهم يعبرون أو يسجلون أو يصفون أو يعكسون أساسهم بالثورة وبإحداثها في قصائد كثيرة.[2]

ثالثا: الحزن في شعرنا العربي

أ- الحزن في شعرنا القديم:

يختلف الشعراء في إحساسهم، فتارة يفيض شعرهم باللذة والفرح، وتارة يفيض بالحزن والألم العميق.

فترى في الأدب العربي شعراء نشدوا أشعارا لبيان ما في حياتهم من الألم والشعور بالحرمان طول عصور مختلفة كما نلاحظ "امرؤ القيس" في "المجتمع الجاهلي" حيث عمد الى وصف طول الليل وبطء تقدمه، كما وصف وحشته وبؤسه عليه، فكانت أبياته في ذلك صدى قويا لآلامه وحزنه، فهو يقوي وصفه " بالحوار والقصص كما نلمس فيها أحيانا مسحه من الحزن والتأمل، تنتقل من صدر الشاعر الى صدر الطبيعة ...، واذا في الطبيعة جو من الحزن، او شبح هائل يورث الحزن والجذع لديه".[3] ، يقول عن همومه:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لَيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

أَلَا أَيُهَا اللَّيْلُ الطَوِيلُ أَلَا اِنْجَلِي بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ[4]

1 صالح خرفي : أبو القاسم خمار "بين ثورة الشعر وشعر الثورة"، ص8.

2 عبدالله ركيبي: الشعر في زمن الحرية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص12.

3 حنا الفاخوري: تاريخ الادب العربي، المطبعة البوليسية، لبنان، ط2، 1953، ص94.

4 امرؤ القيس: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1972، ص48-49.

اراد "امرؤ القيس" ان يبث لنا حزنه ويأسه، فجعل من الطبيعة جسرا لذلك، فراح يصف الليل وطوله وشدته عليه وهذا يدل على المعاناة التي يتكبدها الشاعر كل ليلة، فراح يسأل متى سيكون رحيلك ايها الليل؟ ومتى سنجلي الصبح؟ ثم يجيب نفسه بحزن ويأس لا مخرج منه: ولكن الصبح ليس بأفضل حال منك ... فلم قدومه اذا؟.

وهكذا لم تتوقف ظاهرة الخزي على العصر الجاهلي، حيث دأبت في مسار متواصل من ذلك العصر الى "عصر صدر الإسلام" يقول "حسان بن ثابت" في إحدى مقدماته الطللية:

عفت ذات الأصابع فالحواء الى عذراء منزلها خلاء

ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء

وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء

فدع هذا، ولكن من لطيف يؤرقني اذا ذهب العشاء[1]

حين نقرأ هذه المقدمة لـ"حسان بن ثابت" نلمس نغمة حزينة تسري في نفوسنا، خاصة لما يتحدث عن طمس الرياح وعوامل الزمن للآثار التي بقيت بعد الرحيل، ثم ينتقل الى الأرق الذي يصيبه يقبل ظلام الليل، لأن الظلمة مدعاة للهم والحزن في غالب الأحيان.

كما نرى في "العصر الأموي" دموع المحبين العذريين من امثال "جميل بن معمر" الذي صور لنا في معظم شعره الانكسار الداخلي والحزن العميق الذي يكتنفه بسبب تقلب علاقته مع "بثينة" تحت ظروف وعوامل معينة، يقول في ذلك:

أبثين انك قد ملكت فاسجحي وخذي بحظك من كريم واصل

فرب عارضة علينا وصلها بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها بالرفق بعد تستر حبي بثينة عن وصالك شاغلي

لو كان في صدري كقدر قلامة فضلا وصلتك أو أتتك رسائلي[2]

1 حسان بن ثابت: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1978،ص7.

2 جميل بثينة: الديوان، شرح وتقديم بطرين البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1982،ص54.

نجد في هذه الأبيات "جميل بين معمر" ينادي حبيبته بنبرة الإنسان البائس المهموم بأن لا تبخل عليه من حبها، وان تعلم بأنه يقاسي من اجلها.

وفي "العهد العباسي" يرى "المتنبي" ان البؤس والشقاء شائعان ومن ذلك قوله:

ذو العقل يشفى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم[1]

فصور لنا العلم وكأنه شقاء وجحيم لصاحبه، بينما الجهل نعمة لصاحبه، لأنه لا يدرك العواقب، ولا يشغل عقله بالحوادث والأمور، فبدأ" المتنبي" مستغربا بائسا حزينا، وهذا اليأس والإحباط سببه انه لم يجد تناغما وانسجاما مع المحيط الذي يحيا فيه، ذلك أنه يمتلك ثقافة واسعة جعلته يشعر بهوة كبيرة بينه وبين الآخرين.

ب- الحزن في الشعر العربي الحديث:

منذ وجود الإنسان وهو يعاني أزمة الحياة، ويدرك ما فيها من خير وشر وسرور وحزن، فشعور الإنسان بالألم والحزن ظل رفيقه في الحياة، وهذه الآلام تكون لفقد عزيز او أمنية او نعمة، او تكون لحرمان مما يحب ويريد في الحياة، ونجد هذه الاختلاجات في شعر شعراء من العصر الجاهلي – كما سبق ذكره- حتى شعراء العصر الحديث ونراه خاصة في أشعار "المذهب الرومانسي" فذات الشعراء الرومانسيين "تتجلى على الأخص في عدم الرضا بالحياة في عصرهم، وفي القلق اما عالمهم وما يعج بهم من أحداث، وفي الحزن الغالب على أنفسهم وفي كل حال دون ان يجدوا له سببا".[2]

ومن ذلك نجد الشعور بالألم الحاد عند "أبي القاسم الشاب" وفي قصيدة اسمها "دموع الألم" التي يقول فيها:

حسرات تهيجها الذكريات ودموع تفيضها الشهقات

وشجون تشير في القلب الآ ما تغني بصوتها الأنات؟

1 التنبي: الديوان، مراجع وفهرسة يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2007، ص230.

2 محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، دار العودة، بيروت، لبنان، ط6، 1981، ص55.

من لقلب اذا تنهد حزنا صدعته الشجون والغصات؟[1]

فالشاعر يشعر بخيبة الامل ويحس باليأس، اللذان أصبحا بمثابة الظل الدائم الذي يرافقه في الحياة نتيجة المرض الذي أصابه لذلك غدت الدنيا سواء مظلمة أمامه، باعثة للحزن والألم ويظهر ذلك من خلال توظيفه لكلمات معظمها من حقل الحزن والكآبة ومن ذلك: حسرات الذكريات، دموع، الشهقات، شجون، أنات، تنهد، غصات، حزن، أساها ... الخ.

كما استقامت نعمة الحزن في "شعرنا المعاصر" حتى صارت ظاهرة تلفت الأنظار، بل يمكن ان يقال ان الحزن قد صار محورا أساسيا في معظم ما يكتب الشعراء المعاصرون من قصائد، وربما تكمن علة هذه الظاهرة في طبيعة هذه الظاهرة في طبيعة الحيات ذاتها وفي ظروف العصر المرتهن بالفجائع الإنسانية، ومن هنا يقول "بدر شاكر السبيان" اللائذ بحزنه في قصيدة له بعنوان "رحيل النهار":

رحل النهار

ها انه انطفأت ذبالته على أفق توهج دون نار

وجلست تنتظرين عودة سندباد من السفار

والبحر يصرخ من ورائك بالعواصف والرعود

هو لن يعود

أوما علمت بأنه أسرته آلهة البحار

في قلعة سوداء في جزر من الدم والمحار

هو لن يعود

رحل النهار

فالترحلي، هو لن يعود.[2]

---

1 ابو القاسم الشابي: الديوان، تراسة وتقديم عزالدين اسماعيل، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، 1972،ص122-123.

2 بدر شاكر السياب: منزل الاقنان، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1963، ص5-6.

يغلب على هذه طابع الأسى والقهر والكآبة، حيث يطالب "بدر شاكر السياب" في شعره بالرحيل ويكرر هذه الكلمة مرارا دلالة على ثقل الهم الذي يعاني منه، كما توحي لفظة "الرحيل" بالحزن وعدم العودة مرة ثانية، وهو ما يؤكده بقوله "لن يعود".

اذا فكل هذه النماذج من الأشعار تكشف عن تمزق نفسي ووجداني للشاعر العربي سواء القديم او الحديث، فكان نتاجه شعرا مليئا بملامح الحزن والألم والأسى، الذي زاد من الجمال ورونق هذه الأشعار.

الفصل الأول

بواعث ومكونات المعجم الشعري في شعر مفدي زكريا .

أولا : التناص الديني.

أ- القرآن الكريم.

ب- الشخصيات الدينية.

ثانيا : التناص الأدبي.

ثالثا : التناص التاريخي.

أ- الأماكن التاريخية.

ب- أعلام التاريخ.

رابعا : التناص الشعبي.

وفي هذا الفصل حاولنا ان نبرز أهم الروافد التي كونت شعرية مفدي زكرياء من شتى مجالات الحياة، سواء الدينية أم الأدبية أم التاريخية أم الثقافة الشعبية، و سنتمثلها في أنواع الرموز أو التناصات مع الغير سواء المادية أم المعنوية، فالرمز أو التناص في العمل الأدبي يضفي عليه "رقة وأصالة، ويمثل نوعا من امتداد الماضي في الحاضر ،وتغلغل الحاضر بجذوره في تربية الماضي لخصبته المعطاة"[1].

وكان أبرزها ما يأتي:

أولا: التناص الديني:

لقد تعددت المعطيات التي استمد منها "مفدي زكرياء" شعره، ، فقد وظف نصوصا قرآنية وشخصيات دينية لدعم شعره من المصادر التراثية الدينية، وذلك بتوظيف مفردات وآيات اقتبسها منها، ويبقى دائما "معينا زاخرا غنيا بالدلالات الإنسانية والفنية"[2].

أ- القرآن الكريم:

احتل القرآن الكريم مكانة مميزة في نفس الشاعر، فهو المصدر الأول الذي ينهل مفدي زكرياء من حياضه، فقد استلهم من آياته الكريمات مختلف الصور، واستخرج من معانيه المؤثرة ألوان التعابير الشعرية "فهوة يعتصر ما في المفردة من دلالات نفسية بعيدة، قد لا يدرك أبعادها سوى المتلقي الحافظ للقرآن الكريم"[3].

ويعد "القرآن الكريم معجزة الدهور، يفيض بالصياغة الجديدة والمعنى المبتكر، يصور تقلبات القلوب وخلجات النفوس، وهو النّص المقدّس الذي أحدث ثورة فنية على معظم التعابير التي ابتدعها العربي شعرا ونثرا ليخلق تشكيلا فنيا خاصا متناسقَ المقاطع تطمئن إليه الأسماع إلى الأفئدة في سهولة ويسر"[4].

1- علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، دار الفصحى، القاهرة، 1978، ص12.

2- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975)، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1984، ص585.

3- محمد ناصر: مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، ط2، 1987، ص113.

4-جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة، الجزائر، ص167.

ويمثّل حضور فضاء "النص القرآني الكريم" نسبة كبيرة في شعر مفدي زكرياء وظاهرة بارزة ويمكننا أن نقول بأن نسبة كثافة وقوة "التناص" القرآني في آثار مفدي زكرياء الشعرية، لم تصل إليهاأية تجربة شعرية أخرى في الشعر الجزائري، وكذلك العربي، وقد أرجع الدكتور "محمد ناصر" سبب إقبال مفدي زكرياء وشغفه وولعه العميق بأساليب النص القرآني ومجازاته ومعانيه إلى أنه "كان كلما أراد التعبير عن قدسية شيء ما أو عظمته في نفسه قارنه بالقرآن، إحساسا منه أن القرآن يمثل في نفسه لا نهاية بعده، ومن ثم كان يرى أن لا نهضة فكرية أوأدبية بدون القرآن"[1].

ولذلك فلا عجب إذاأقدم"مفدي زكرياء" على الاستفادة من معاني القرآن الكريم وصوره وبلاغة بيانه فهو "يريد أن يكتب النص الشعري، النص "البيان" النص "المعجزة"، مثلما كان نص القرآن الكريم "معجزة" و "بيانا" و "بلاغة"، ولكنلن يتمكن أي كاتب أن يأتي بمثل ما جاء به القرآن من روعة ورونق وسحر وبلاغة وافتتان، وقد كان مفدي زكرياء يرجو هذه الشوامخ ويطمح أن يكتب نصا شعريا يحاكي فيه هذا المستوى الرفيع من مستوى النص القرآني."[2] ، إلاأنه يستحيل على أي كائن أن يحاكي القرآن.

ويعد القرآن الكريم من أغزر الروافد في بنية شعر مفدي زكرياء لغة وتصويرا وموسيقةً، ولم يكن ذلك تكلفا ولا افتعالا، بل تجاوز كل ذلك فأصبحت لغة القرآن الكريم تتداخل ولغته الشعرية تعبيرا وتصويرا، فقد استخدم ألفاظه ووظف تعابيره إلى حد أن هذه الظاهرة الفنية أضحت متكأً يستند عليه في بناء قصائده وإبراز آهاته وحزنه وثورته. ومن أبرز الصور التي استلهم منها مفدي زكرياء الآية القرآنية التي تعبر عن حزنه هي حنينه إلى بيئته الأصلية "الصحراء" وطبيعته المملوءة بالذكريات، ومرتع الصبا ومساكن الأهلوالأحبة متغنيا بفضائها الرحب وجمالها وهو حبيس موثق في سجن "البرواقية" فجاءت زفراته تحمل صور المتناقضات التي تعزز ظاهرة الحزن فيقول:

1-محمد ناصر: شاعر النضال والثورة، ص71.

2-شريبط أحمد شريبط: مباحث في الأدب الجزائري، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، ص156.

وفي صَحرائِنَا، الكُبْرَى، كُنُوزٌ نُطارِدُ عنْ مواقعِها الغُرابَا
وفي صحرائِنا، تبْرٌ وتمْرٌ كِلاَ الذّهبيْن، راقَ بها وطَابَا
وهزَّتْ مريمُ العَذْراءُ نخِيلاً فأسقَطتْالفلوْذجَوالرَضَابَا[1]

هذه الظاهرة اقتبسها مفدي زكرياء من القرآن الكريم عند قوله تعالى:((وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَّاقطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا))[2] ، وهذا النص القرآني اقتبسه مفدي زكرياء ليدلّل على حالته الحزينة على حنينه للوطن المسلوب المحتل.

ويقول مفدي زكرياء في قصيدته "وتعطلت لغة الكلام" :

ورِسالةٌ صَاغَ (الشّهيدُ) بيانَها وزكَا بِهَا، فِي الخَالدِينَ (عِصامُ)
أسرْى بِهَا مِن (بزْبرُوسَ) خَيالَه وهفَتْ بهِ لِحمَاكُم الأحلامُ
والقلبُ، بالأناتِ يقْطعُ بحرَها دقاتُه، الأوزانُ، والأنغامُ[3]

فقد استمد الشاعر لحنينه إلىأرض الكنانة مصر، هذه الصّورة الحزينة التي اقتبسها من الآية القرآنية الكريمة عند قوله تعالى:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِالاَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَّهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُهو السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[4]

ومن خلال هذه الآية الكريمة عبّر الشاعر عن معاناته واشتياقه عما يعانيه وحيدا داخل السّجن من وحشة بين جدرانه ونفس معذبة، تتطلع اشتياقا إلى مصر التي يناشدها أن تخلصه من آلامه وحزنه.

ويبدع "مفدي زكرياء" في وصف الحالة المؤلمة والمؤثرة لرفيق دربه داخل السجن، ابن الجزائر الشهيد "أحمد زبانة" وهو ينقاد إلى مقصلة الشهداء مواجها الموت بكل شجاعة وتحدي متقدما ثابتا، ومن بين الآيات القرآنية الكريمة التي وظفها "مفدي زكرياء"

1- مفدي زكرياء: اللهب المقدس، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2012، ص35،36.
2- سورة مريم، الآية 25.
3- مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص47.
4- سورة الإسراء، الآية 01.

لهذه الصورة الرهيبة في قصيدته الشهيرة "الذبيح الصاعد"، إذ اقتبس عبارة "واقض يا موت في ما أنت قاض" في قوله:

أشنقُونِي، فلست أخشى حبالاً أصلُبونِي، فلست أخشَى حديدًا

واقْضِ يا موتُ في ما أنتَ قاضٍ20 أنا راضٍ، إن عاش شعبي سعيدًا[1]

وقد اقتبسها من قوله تعالى: ﴿قَالُوْا لَنْنوثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ البَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ، إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةُ الدُنْيَا﴾[2].

ثمّ يعمد "مفدي زكرياء" ليغيض العدو الدخيل في ذكر خصال المجاهدين وما حققوه من تقدم وانتصارات على المستعمر فيقول في قصيدته "وتعطلت لغة الكلام":

والزّرعُ أَخرجَ في الجزائرِ شطْأَهُ فمَضَى وهبَّإلَى الحصادِ كرامُ[3]

فالبيت الشعري في معاناته وثورته وتحديه للمستعمر الدخيل مقتبس من الآية القرآنية الكريمة: ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبَ الزُّرَّاعَ﴾[4].

ويقول مفدي زكرياء في مشهدين من مشاهد الإلياذة:

وزلزلتِ الأرضُ زلزالَهَاوضحَ لغاصبِك النيرانُ[5]

فالبيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[6].

فقد استلهم الشاعر من الآية الكريمة الغلبة والانتصار للحق والخوف والرعب، بحيث لن تجد أسلحة الجيش الفرنسي أي نفع، فغضب الجزائري قد رج أرض الجزائر رجا، فأين الملاذ والمفر أيها المستعمر الغاصب، فالجزائري لا محالة سوف يستعبد أرضه وأمواله وسيادته.

1-مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص18.

2-سورة طه، الآية 72.

3-مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص42.

4-سورة الفتح، الآية 29.

5-مفدي زكرياء: إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتب، الجزائر، ط2، 1992، ص118.

6-سورة الزلزلة، الآية 01-02.

وعندما أراد التعبير عن الضياع والابتعاد عن القيم العربية الإسلامية جراء غياب الوعي الديني، تمحور ملتقى الفكر الإسلامي حول هذا الضياع وأسبابه ونتائجه الوخيمة على الشعب الجزائري خاصة، وإصلاح حال الأمة العربية عامة، قال الشاعر:

ويلتفُّ ساقٌ بساقٍ فنصبُوا فيغمرُنا مُلتقَى الفكرِ نصْحًا[1]

وعبارة "يلتف ساق بساق" مقتبسة من قوله تعالى : ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِإِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَسَاقُ﴾[2]

ووجه الشبه بين البيت الشعري والآية يتّضح في إحساس الإنسان بالرعب والضياع والخوف الشديد، الذي هو ناتج عن متغيرات العصر وغلبة الكفرة على المسلمين وسطوتهم الاستعمارية مما أدت بالعرب المسلمين إلى الضياع بين متطلبات العصر والعولمة والتناقضات في المجتمع العربي الإسلامي، أما في الآية فالخوف والوجل والضياع هو حصيلة لذنوب العبد وعصيانه لربه وكفره حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿ فَلاَ صدَّقَ ولا صَلَّى ولكنْ كذَّبَ وتَولَّى ﴾[3].

كما وصف الشاعر حالة الشعب الجزائري المشرد، فيثور كالبركان ينثر حمم المآسي طالبا من أبناء وطنه الثورة على العدو الدخيل، وإحداث هزة تزلزل دعائمه وتحدث في أبراجه الحاكمة انقلابا، فيقول في قصيدته "قال تعالى":

فكانَ وكَانَ، منْ شعْبٍ، وربٍّ قرارٌأحدثَ العجبَالعُجابَا!!

جهادٌ، دوّخَ الدُنْيَا، وألقَى هنالِكَ في سياستِها اضطرابَا

وزلزلٌ مِن صَياصِيها فرنْسَا وأوقَعَ في حكومتِها انقلابَا [4]

1-مفدي زكرياء: إلياذة الجزائر، ص26.

2-سورة القيامة، الآية 29،30.

3-سورة القيامة، الآيتين 31،32.

4-مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص34.

فقد اقتبس الشاعر لحالته الانفعالية التعيسة، المشحونة بالحسرة والألم، من القرآن الكريم ما يناظرها في قوله تعالى: ﴿وأنزلَ الذين ظاهروهُم من أهْلِ الكتَابِ منْ صياصِيهمْ وقذفَ في قلوبِهمُ الرّعبَ فريقًا تقتلونَوتأسرون فريقا﴾[1].

كما لجأ الشاعر "مفدي زكرياء" إلى توظيف بعض المواقف العظيمة، والأحداث الجسام التي يتخيل لنا فيها التاريخ بتوقف لحظاتها إجلالا وروعة، ومن هذه اللحظات، لحظة إطلاق أول رصاصة ليلة الفاتح من نوفمبر "سنة1954"، هذه الليلة كانت بزوغا لفجر الحرية، فقد شهدت ميلاد ثورة التحرير المظفرة، ونظرا لعظمتها وجلال شأنها بحيث لم يضاهيها مثلا في مخيلة الشاعر إلا "ليلة القدر المباركة" تلك الليلة التي هي خير من ألف شهر، فقد شهدت تغير مجرى تاريخ البشرية من العبودية إلى الحرية ومن الظلام إلى نور الإسلام، فيقول الشاعر جاعل ليلة نوفمبر بمثابة ليلة القدر:

تأذَّن ربُّـــــك ليلـــــةَ قدرٍ وألقَى السّتارَ على ألفِ شهرٍ

وقال له الشعبُ: أمرُك ربّي وقال له الربُّ: أمركَ أمرِي!!

ودانَ القصاصُ فرنسا العجوزُ بِما اجترحتْ من خداعٍ ومكرٍ

نوفمبرُ غيرتَ مجرى الحياةِ وكنت نوفمبرَ مطلع فجرٍ

شغلــنا الورى، وملأنا الدُنا

بشعـــــر نرتّلُه كالصـــــلاة

تسابيحُه من حنايا الجزائر[2]

وفي الأبيات الشعرية استيحاء مباشر من سورة القدر، لأنّ آياتها تضمنت معاناة الشاعر الداخلية بدقة وسايرت مواطن انفعالاته بصدق، لقوله تعالى: ﴿إناأنزلناهُ فِي ليلَةِ القدْرِ وما أدراكَ مَا ليلةُ القدْرِ ليلةُ القدْرِ خيرٌ منَ الْفِ شهر ﴾[3].

1-سورة الأحزاب، الآية 26.

2-مفدي زكرياء: الياذة الجزائر، ص69.

3-سورة القدر، الآية من 1-3.

وفي أبيات أخرى نجده يدعو ربه بأن يعفو ويغفر له راجيا منه أن يتقبل إلياذته ويمحو بها هفواته قائلا في ذلك:

فياربُّ قد أغرقتْنِي ذنوبِي وأنتَ العليمُ بمـــا في الغيوبِ

أتوبُ إليـــكَ بإلياذتِـــي عسَـــاهَا تكَفِّـــرُ كـلَّ ذنـوبِي

عصيْتُك علمًا بأنْ تعفُو على المسْرفينَ فهانتْ خُطوبِي[1]

فكلمة "المسرفين" فيها إشارة واضحة وجلية إلى قوله تعالى: ﴿ قل يا عباديَ الذينَأسْرفُواعلَى أنْفُسهمْ لاَ تقْنطُوا منْ رحمَةِ الله إنَّ الله يغفرُ الذُّنوبَ جميعًا﴾.[2]

ب- الشخصيُّاتُ الدينيّةُ:

وظّفَ مفدي زكرياء لدعم شعره بعضَ الشخصيات الدينية، وقد كان يهدف بذلك إلى السمو بأبعاده ودلالات هذه الشخصيات لذلك نجده يكثر من إعادة كتابة سير بعض الأنبياء والرسل ومن أبرز الشخصيات الدينية التي تواترت في قصائد مفدي زكرياء: شخصية آدمعليه السلام وحواء، وشخصية النّبي موسى عليه السلام، وهاروت الملك وغيرها من الشخصيات.

فنجد الشّاعر يذكر آدم وحواء في قوله:

وتفاحـــةٌ أخرجـــت آدمًا مِـــن الخلْدِ مـــذْ لعنتْه السّمَا

ولكـــنّ حواءَنا بلغتـــهْا وبِالعلْـــج أبدلَـــت المُسْـلِمَا

ولم ترضَ بالفحْلِ من قومِها فهامتْ بمَنْ ... ما رمَى إذ رمَى[3]

فقد وصف الشّاعر البنت الجزائرية التي غرها البهرج الخداع والبريق الزائف، فرضيت بالأعجمي زوجا لها، وانسلخت عن أصالتها، فهو يشير ويرمز من خلال قصة سيدنا "آدم وحواء" ووسوسة الشيطان "إبليس" لهما بأكل التفاحة لأنها ثمرة الخلد، فكان عاقبتها أنأخرجا من جنة الخلد إلىأرض الشّقاء، وهذا فيه إشارةإلى حزنه على الفتاة الجزائرية التي

1-مفدي زكرياء: الياذة الجزائر، ص114.

2-سورة الزمر ، الآية 53.

3-مفدي زكرياء: الياذة الجزائر، ص105

خدعتها أمور براقة الظاهر فارغة المحتوى ولا تجدي نفعا في الدين، أما شخصية النّبي "عيسى وأمه مريم عليهما السلام" فيشير إليهما في قوله:

فسحــقًا لبنْــتٍ تـزيفُ جيــلاً وتلعنُ فيها الدماءُ الدمَا

وتُغضِب عيسى المسيحَ وتُبكي على جذعِ نخلتِهَا مريمَا[1]

وفي هذه الأبيات حزن وسخط الشاعر على البنت الجزائرية التي انسلخت عن مبادئ دينها فاستحقت اللعنة.

ويلجأ مفدي زكرياء في موضوع آخر من أشعاره إلى قصة سيدنا "موسى عليه السلام"، وخاصة قصة "العصا" التي تلقف سحر السحرة، فقد استعملها الشاعر إلى الردّ على تهم خصومه الحاقدين الذين رموه بتهم باطلة فيقول:

ودُستِ الصراصيرُ بين الصّخُورِ فصعَّر خدَّ الحجارةِصخري

وألقيتُ في السَّاحرين عصايَ تلقّفُ ما يأفكونَ بسحري

شغلنــا الورى، وملأنا الدنا

بشــعر نرتــله كالصــلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر[2]

فقد تعرض مفدي زكرياء بعد الاستقلال إلى هجوم بعض خصومه ومنافسيه، مدعين أنّ الشاعر تنكر لماضيه النضالي، فجاءت قريحة الشاعر بهذه الأبيات بمثابة عصى موسى التي أخرصت الألسنة وقضت على كل الاتهامات الزائفة وأنّ هؤلاء الخصوم ليسوا سوى حاقدين.

ولم يقتصر مفدي زكرياء على قصص الأنبياء والرسل، فقد أضاف أسماء شائعة ومعروفة اتصلت بقصة من القصص، كشخصية "هاروت الملك" الذي ذكره في قصيدته التي وصف فيها جمال وروعة الجزائر حيث يقول:

1-مفدي زكرياء: الياذة الجزائر ، ص 105.

2-المصدر نفسه، ص 115.

جَزائــرَ يا بدْعــةَ الفاطِـرِ وَ ويَا روعةَ الصَّانعِ القادِرِ
ويا بَابلَ السّحرِ، منْ وحيِهَا تَلقَّبَ هاروتُ بالسَّاحــرِ
ويا جنّةٌ غارَ منْهَا الجــنانُ واشغلهُ الغيبُ بالحاضِرِ[1]

ويمكن أن نوجز أنّ مفدي زكرياء قد تأثر في معظم قصائده الشعرية بآيات القرآن الكريم، ويعود ذلك إلى ثقافته العربية القديمة التي تلقاها منذ نعومة أظافره، كما ترجع في أصولهاإلى تلك التربية الإقليمية التي ثقفها وتعود عليها منذ صباه، ثقافة تراثية عربية إسلامية أصيلة.

وهذا لا يعني أن الشاعر حصر كتاباته على الموروث الديني فقط، بل تعدى ذلك إلى الجانب الأدبي والتاريخي والشعبي.

ثانيا: التناص الأدبي

إن القارئ لشعر مفدي زكرياء يستنتج ثقافته الواسعة على الموروث الأدبي الشعري العربي فكان أنْ أخذ من نص غيره من فحول شعراء العرب، وضمّنه في شعره ليعطي به تجديدا شعريا كأن لم يكن مسموعا قبله، ومن الشعراء الفحول الذين تأثر بهم وظهرت بصماتهم في قصائده أذكر (المتنبي، أبي تمام، البحتري، المعري، أبي فراس، عمر بن كلثوم... وغيرهم)، فلم يحافظ مفدي زكرياء على إيقاعات الشعر العربي القديم فحسب، بل يعد من أشد المعجبين به، وذلك بتأثره به من خلال حضور نصوصه ومعانيه وألفاظه في شعره. ومن ذلك نجد تأثره بـ(البحتري) في سينيته التي رثى فيها ضحايا (8 ماي 1945) حيث يقول:

ولم ننسَ في أربعينَ وخمسٍ ضحَايَا المذابحِ في يومِ نحْسِ
طرِبْنَا معَ الحلفَــاءِ اغترَارًا وقمْنَا نُصفّقُ في غيْر عرْسِ
فكانوا مع الغْدِر عونًا علينَا ودرْسًا لقادتــِنَا وأيُّ درْسِ
وكانتْ مجازرُهم بسطِيف وقالمَة للشَّعْبِ، دقاتُ جرْسِ[2]

1-مفدي زكرياء: الياذة الجزائر ، ص20

2-المصدر نفسه ، ص66.

وهذه السينية جاءت فيها قوافيها على الترتيب "نحس، عرس، درس، جرس ..."، تصف وترثي مجازر (8 ماي 1945) في سطيف و قالمة ... وغيرها، وحرف السين من حروف "الهمس" فهو ملائم لحال الحزن عند الشاعر، ويتوافق مع حديث عن الخراب والتقتيل بالأبرياء وفي ذات الأجواء كتب "البحتري" نصه الشهير:

صنْتُ نفسي عمَّا يدنِّسُ نفْسِي وترفَّعتُ عنْ جدا كلِّ جبْسِ

فالبحتري يرثي الخراب المطلق على أصعدة متعددة، فمن جهة رثى ما حل بآل "ساسان" ومن جهة أخرى نجده يلتفت إلى ما آل إليهالديوان من خراب، وما لحق بالمتوكل من مآس ومواجع.

كما أعجب الشّاعر بأبي تمام، فقد رفض أسلوب الليونة مع المستعمر المحتلوأحضر معه السلاح البديل كهذا الذي تمثله النار والصفائح فتخرس كل صوت وتشل كل ذي حركة، فيقول في قصيدته الشهير "وتعطلت لغة الكلام":

السيف، أصدقُ لهْجةً مِن الأحرفِ كُتبتْ، فكانَ بيانُــها الإبــهامُ
والّنارُ، أصدقُ حـجةً، فاكتبْ بــهَا ماشئْتَ تصْعقُ عندَها الأحلامُ
إنّ الصحائفَ، للصفائــحِ أمــرُها والحبرُ حربٌ، والكــلامُ كــلامُ
عِزُّ (المَكَاتِبِ)، في الحياةِ (كتائبٌ) زحفتْ، كأنَّ جنــودَها الأعلامُ
خيرُ المحافِلِ، في الزّمــانِ جحافلٌ رفعتْ، على وحـداتِها الأعلامُ[1]

المتمعن لأبيات هذه القصيدة يلاحظ تناثر أبيات "أبي تمام" التي تمثل مأساة الشعب عندما خذل في حقه أمام العالم، حيث وظف مفدي زكرياء "السيف اصدق إنباءً من الكتب".

يقول "أبو تمام":

السّيف أصدق إنْبَاءً من الكتبِ فِي حدِّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ[2]

1-مفدي زكرياءاليادة الجزائر، ص41.

2-أبوتمام: المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة، ب ت، ص07.

هذه الجملة المؤثرة المعبرة عن الغضب الكبير لدى الشاعر ومرارة الموقف راح يستمد من محاسنها البديعة،فهي مواكبة لحنينه وحزنه ومعبرة بصدق كما بداخله.

كما عبّر مفدي زكرياء عن مكانته الاجتماعية عندما يجد الجد، فهو يشبه "أبا فراس" في موقفه من قومه، مستعيرا أحواله البائسة وظروفه المعقدة، وما أصابه في سجنه من ويلات العذاب والإحساس بالحزن، فيقول:

سيذكُرني إذا اللّيلُ الرهِيبُ سَجَا وجلْجَلَ الخَطْبُ، أنّي فِي الدُّجَى فلقُ

حسْبِي وحسْب أَنَاسِيَ، إنّ غدوتُ لهُمْ عـودًا يعطِّــرهُم، ذِكْــرَى وأحتــرقُ

وكذلك يقول "أبو فراس الحمداني" في وحدته:

سيذكُرنِي قومِي إذا جدَّ جدُّهم وفِي الليلةِ الظلماءِ يفتقدُ البدرُ [1]

وفي التعبير عن حزنه ومعاناة ومأساة شعبه يقول مفدي زكرياء في قصيدته "اقرأ كتابك":

هذا (نوفمبرُ)، قمْ! وحيِّ المدْفَّعَ واذكرْ جهادَك ... والسنينَ الأربعَا

واقرأ كتابَك، للأنــامِ مفصَّــلاً تقرأُ به الدنْيَا الحديثَ الأروعَا!

واعقد لحقِّك في الملاحمِ ندوةً يقُف السلاحُ بها خطيبًا مصقّعَا!

وقل الجزائرُ..!واصغِ إنْ ذُكر اسمُها تجدَ الجبابرةَ ساجدين وركّعَا![2]

فالشاعر في البيت الأخير قد تأثر إلى حد ما بالشاعر الجاهلي "عمرو بن كلثوم" في قوله الشهير:

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخر الجبابر ساجدينا[3]

ومن البحتري وأبو فراس وأبو تمام إلى الشاعر "أبي العلاء المعري" الذي تأثّر به مفدي زكرياء وأعجب بفلسفته وشعره إلى حد المحاكاة والاقتباس ومن ذلك قوله في هيامه بالجزائر:

1-أبوفراس الحمداني: الديوان، دار صادر، ب ت، ص15.

2-مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص51.

3-التبريزي: شرح القصائد العشر، مطبعة المدني، القاهرة، 1965، ص322.

فيا أيُّهَا الـناس هـذِي بـلادِي ومعبدُ حـبِّي وحـلمُ فـؤادِي
وإيـمانُ قـلبي وخـالصُ ديني ومبناهُ فـي ملّتي واعتـقادِي
بلادي أحبُّك فـوق الظنـــونِ وأشـدُوبحـذِبك في كل نـادِي
عشـقتُ لأجلِكِ كـلَّ جمـيـــلٍ وهِمْتُ لأجـلكِ فـي كـلِّ وادِي
وأوقفت ركبَ الزَّمـانِ طـويلاً أســائلُــه عـن ثمودَ وعـادِ[1]

وقال "المعري":

غيْرُ مجدٍ في ملَّتِي واعتقادِي نوْحُ باكٍ أوْ ترنّم شادِ[2]

ونلاحظ أنّ مفدي زكرياء قد استوحى دالية المعري رغم اختلاف الموضوعين، إلاأنّ هذا لم يمنعه من استخدام الاقتباس وهو واضح في البيت الثاني "في ملتي واعتقادي". فقد عرف الشاعر بطموح شعري وقوة في الشخصية وثبات في المبدأ فلا يزحزحه إرهاب أو يثنيه عن أمانته العريضة نفس ولا اغتراب.

كما نلاحظ في أبيات أخرى تأثره بالشاعر "أبي نواس" وذلك حين أحسّمفدي زكرياء بدنو أجله مع اقتراب إلياذته من النهاية، فلجأ لجوء التائب الخائف إلى دعاء الله بأن يغفر ذنوبه يقول في ذلك:

فيا رب قد أغرقتني ذنوبي وأنت العليـم بما في الغيوب
أتـوب إليـك بإليـاذتي عسـاها تكفـر كـل ذنـوبي
عصيتك علما بأنك تعفـو على المسرفين فهانت خطوبي
ولولا صفاتـك رب غفـور رحيـم لضاقت علـيَّ دروبـي
وأكدّ فعلَ الصفاتِ العصاةُ فأكدّ فضلك ستر العيوب
عصيتك لما خلقت الجمـال وهجت به نصبي ولغوبي
وصورتـني شاعـرا مرهفا يهبّ الصبا والهوى لهبوبي
ولولا الجمال لعشـت عقيما وما همت يوما بغزوالقلوب

1-مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص37.
2-محمد ناصر: مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، ص135.

وإن أنا لم أعـص أهلكتني وأبدلنني بطـــروب لعـــوب

فيا رب ما حيلتي في الهوى وفيك إذا لم تكفـــر ذنـوبي

شغلنا الـورى، وملأنا الدنا

بشعـــر نرتله كالصـــلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر[1]

وفي هذا الصدد قال "أبو نواس"

يا رَبِّ إِن عَظُمَت ذُنوبي فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ

إِن كانَ لا يَرجوكَ إِلّا مُحسِنٌ فَبِمَن يَلوذُ وَيَستَجيرُ المُجرِمُ؟

أَدعوكَ رَبِّ كَما أَمَرتَ تَضَرُّعا فَإِذا رَدَدتَ يَدي فَمَن ذا يَرحَمُ؟

وهكذا فإن المصادر الأدبية التراثية كانت منابع فكرية وأسلوبية لكثير من نصوص مفدي زكرياء مما زادها روعة وإبداعا وعمقا في المبنى والمعنى، ومن المصادر التي اعتمدها الشاعر في شعره نذكر أيضا:

ثالثا: التناص التاريخي

تعدّ المادة التاريخية ولا سيما التاريخ الإسلامي قديما وحديثا من أغزر المصادر التي يستقي منها الشاعر صورهم، "فيلجأ الشاعر إلى معين التاريخ في عصور التردي والانحطاط إذ يتوجه الفنان إلى التاريخ بحثا عن المثل الأعلى رغبة في التعويض العاطفي، وربما رهبة من وطأة زمن العجز الذي يحياه، وهربا إلى أحضان الماضي الذي يبدوا مجيدا أو مثاليا بالقياس إلى الحاضر"[2]، فالشاعر "يرى في الحقيقة التاريخية شيئا أشبه بالهيكل العظمي، فيكسوها بخياله الفني لحما، وينفخ فيها من روحه الإبداعية، فإذا الحدث التاريخي قد استوى كائنا حيا، جاءنا عبر العصور ليس على صورته التاريخية الدقيقة، ولكن في الإطار العام للحقيقة التاريخية فإذا التاريخ بشخوصه وأحداثه قد صار

1-مفدي زكرياء: إلياذة الجزائر، ص114.

2-قاسم عبده قاسم: الشعر والتاريخ، مجلة فصول، الكويت، عدد2، 1983، ص235.

يعايشنا في حاضرنا"[1] ، وهي ميزة تفرد بها مفدي زكرياء عن باقي الشعراء الجزائريين،إذ طرق هذا النوع من التصوير بحيث راح يستمد من التاريخ العربي الإسلامي بكل سخاء متخذا من الأمجاد التاريخية مادة لصورته، وأبرز عمل جسد هذا الاتجاه عندمفدي زكرياء "إلياذة الجزائر"، ففيها نلتمس اعتماد الشاعر للمعلومات التاريخية واتخاذه منها مادة أساسية لبناء الصورة الشعرية، فقد تعرض في أبياته إلى أهم أحداث التاريخ الجزائري، ابتداء من العصر الروماني حتى الاستقلال، وقد ساعد في ذلك اطلاعه الواسع على تاريخ المغرب العربي وتنقلاته الكثيرة في أقطاره، ووقوفه على منابع الجمال والحضارة في كل من هذه البلدان.

أ- الأماكن التاريخية:

عندما يصف الشاعر قطرا من أقطار الوطن يغوص في تاريخه البعيد، فيستمد منه صورته الشعرية فيربط بين الماضي والحاضر بوصفه الدقيق لكل ما تمتاز به المنطقة الموصوفة من جمال طبيعة أو حضارة علمية،أو ثقافية، لذا نجده كثيرَ الوقوف والإشادة بهذه المراكز التي تمثل وجه الحضارة الجزائرية كقوله:

أشرشالُ ... هلا تذكرتِ يوبَا؟ و من لقبوا عرشَكِ القيصريّة؟
و باهي بشرشالَ جنةُ عدنٍ؟ وزانَ حدائقُــها السندســيّة؟
أما شاد يوبَا بشرشالَ للعلمِ أوَلَ جامــعةٍ أثريّـــــــة؟[2]

فالشاعر يستخرج الصور من المادة التاريخية والتطورات التي شهدتها "شرشال" في عهد يوبا الثاني ولي عرش الأمازيغ بشرشال.

يقول مفدي زكرياء:

سجَا الليلُ في القصبَة الرابضَة فأيقظَ أسرارَها الغامضَة
و بين الدروبِ، و بينَ الثنايَا عفاريتٌ، مائجةٌ راكضَة
و ملْء سراديبِها الكافراتُ تُصاغُ قراراتُنا الرافضَة

1- قاسم عبده قاسم : الشعر والتاريخ ، ص236.
2-مفدي زكرياء: إلياذة الجزائر، ص41.

فيحتارُ "بيجَا" في أمرِها و يحسبُها موجةً عارضَة

و يأتِي عليّ رضوخُ الجبانِ فتسمُو به روحُه الفائضَة[1]

فالشاعر يصف القصبة وسراديبها ودروبها، ولكنه يمزج بين المكان والأحداث التي جرت عليها أثناء حرب التحرير، ففي القصبة توفي "علي لابوانت" الذي حاصره "بيجار"أحد الضباط الفرنسيين_ مع جميع الفدائيين في معقل من معاقل القصبة،أضافإلى تخليد الأماكن بما جرت عليها من أحداث، يلجأ الشاعر إلى استدعاء الأعلام والشخصيات التاريخية.

ب- أعلام التاريخ:

تتواتر في أشعار مفدي زكرياء العديد من أسماء الشخصيات التاريخية الإسلامية، بحيث لا يكاد يخلو مشهد من المشاهد إلا ذكر فيه بطلا من أبطالالفتح الإسلامي الذين اتخذ منهم الشاعر صورا للوحاته عندما يتعلق الأمر بالاقتداء بالأمجادأو الذكرى أو الاعتزاز، فقد ورد "عقبة بن نافع" مرات عديدة منها ما يلي:

ومرحى لعقبة في أرضنا ينير الحجر ويشيع اليقينا[2]

إلى قوله:

وما كان جوهر إلا مدينا لعقبة.. يوم استقل السفينا[3]

ويقول:

يواكب "عقبة" في الخالدين مسيرتَها سواَء السّبيلاَ

أمافي المصلحين فأورد "جمال الدين الأفغاني" رائد الانطلاقة التحريرية في الإسلام، والشيخ "محمد عبده" وتلميذه "رشيد رضا" قائلا فيهم:

وفي الشرقِ يبهرنَا عبدُه فيقفُوا رشيدٌ خطاهُ الحكيمَة

وأفغانُ تروِي جهادَ جمالٍ فتلهبُ في الثائرينَالعزيمَة[4]

1- مفدي زكرياء: الياذة الجزائر، ص26.

2-المصدر نفسه ، ص43.

3-المصدر نفسه ، ص43.

4-المصدر نفسه ، ص94.

كما ذكر الشاعر مفدي زكرياء علماء الجزائر مثل "أبي حمزة" الجزائري عالم الرياضيات والمثلثات من علماء القرن الثالث عشر هجري، وقد استعملت كتبه في أوروبا الحديثة فيقول فيه:

تحيّيي أبا حمزة في بنيها وأفكارِهِ النّيرَاتُ العليمَة [1]

وكذلك ذكر العالم الأخضري الجزائري عالم في الفلك والرياضيات وكانت كتبه تدرس في جامعة "بوردو" بفرنسا حيث يقول عنه:

وتُكبِّر عالمَها الأخضرِي وآراءَه الناصعاتُ السليمَة [2]

كما ذكر "أبا مروان" عالم بونة (عنابة) اختصاصي في الرياضيات والنجوم فيقول:

وعالمُ بونةٌ مروانُ مهْمَا تصدّى لفكّ الرموزِ القديمَة [3]

ولم ينس ذكر أبطال المغرب العربي البواسل وثورتهم ضد الاستعمار كـ"عمر المختار" و"سليمان الباروني" والأمير "شكيب ارسلان" فيقول:

ومختار* تلقي به الطائرات وفتك**سليمان يمحو الجريمة

وصوت شكيب*** يهزُّ الدُنا فترجف منه النّفُوس السقيمَة [4]

وبذلك يكون الشاعر مفدي زكرياء من خلال قصائده قد لَمَّ بكل العصور والعهود في تاريخ الجزائر الحافل بالاضطرابات والمقاومات الغنية بشخصياتها الوطنية وأبطالها الثائرين، فقد وفق إلى حد كبير في استدعاء الشخصيات والمواقف التاريخية وكان منبع كل ذلك ثقافة تراثية أصيلةوإيمان عميق بعظمة الخطاب الديني، كما كان للبطولات

1- مفدي زكرياء: إلياذة الجزائر ، ص 94.

2-المصدر نفسه ، ن ص.

3-المصدر نفسه ،ن ص.

4-المصدر نفسه، ن ص.

* المجاهد الشهيد عمر المختار اعدم قذفا من طائرة في سماء ليبيا.

** المجاهد الأول سليمان الباروني الذي شن أول حرب على جيش الاحتلال الايطالي في ليبيا.

***الأمير شكيب أرسلان.

التاريخية ولآداب دور كبير في تشكيل تجربته الشعرية، إضافة الى ذلك نجد التراث الشعبي ويتجلى ذلك في:

رابعا: التناص الشعبي

يعرّف التراث الشعبي بأنه " هو الفنون والمعتقدات وأنماط السلوك الجمعية التي تعبر بها الجماعة الشعبية عن نفسها سواء استخدمت الكلمة أو الإشارة أو الإيقاع أو الخلط أو اللون أو الكتلة أو آلة بسيطة".[1]

إنّ توظيف التراث الشعبي واستخدامه في الشعر يصبغه بلون محلي إقليمي خالص "فحين يتعامل الأديب مع الموروث الشعبي ويصبغه أدبا ويعاود تقديمه للناس مجددا بعد تحميله الأفكار التي يريد، لا يشعر الناس بالغربة أو النفور مما يقدمه إليهم، فيتم قبوله والتعامل معه بسهولة،وبهذا ينجح الأديب في نقل التأثر المراد إلى المتلقين"[2]، فالتراث الشعبي بما يحمله من كنوز يعد ملهما للشعراء والأدباء، ومعينا لهم لإقامة علاقة معذواتهم ومع المتلقين لتجاوز مستوى اللغة والخطاب إلى مستوى الإبداع الحقيقي فهو "الذي يخترق الاستعمال المألوف للغة ويستهلك صيغ الأساليب الجاهزة، ويهدف من خلال ذلك إلى شحن الخطاب بطاقات أسلوبية وجمالية تحدث تأثيرا خاصا في الملتقى"[3].

والغالب في شعر مفدي زكرياء أنه لا يوظف الأدب الشعبي في قصيدته إلا نادرا، وذلك لا يكون هكذا فحسب، بل لغايات دلالية كذكره التآخي والتآزر الشعبي وألاّ طبقية في المجتمع وأن ليس حق الوطن مقتصرا على العلماء أو القادة أو الزعماء، بل هو ملك للجميع فهو إذا المشترك الجمعي بين أبناء الجزائر الذين يدافعون عن وطنهم كل حسب قدرته وعلمه وقوته وحنكته ووسيلته... .

1-سعيد شوقي، محمد سليمان: توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، اشتراك للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط، 2000، ص14.

2-نزيه أبو نضال: الشعر الفلسطيني المقاتل، دراية في الواقعية الثورية، منشورات اتحاد الكتاب الصحفيين الفلسطينيين،دط،دت، ص20.

3-نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب)، دار هومة، الجزائر، ج1، ص179.

ومن مواطن التناص الشعبي في شعر مفدي زكرياء نذكر ما يأتي:

يقول في قصيدته "نشيد جيش التحرير الجزائري":

هَذِي دْمَانَاالغاليهْ دفّاقَة

وَعْلَى الجْبَالْ أعْلاَمْنَاخَفاقَة

وللجهاذْأرواحْنا،سباقَة

جيشْ التحريْر احْنَا... ماناش (فلاقة)

يا فَرنْسا ... لا تفيدَكْ اليومْ جيوشَكْ

ولا تفُكّْك من بِدينَاجْحوشك

يا فرنسا فينْ طغاوتَكَ وفْشُوشَكْ

يا ظَالْمَة ... امْسكْنَاكْ منْ الخْنَاقَة

جيش التحرير احنا... ما ناش(فلاقة)

الشَّعْبْ اليوم... راهُو رْجعْ لُه صْوَابُه

ويْحَبْ يصفّْي مْعاكْ اليومْ حْسَابُه

الكِذْبْ حبْلُه قْصِيفْ يا كذَّابَه

والْخَايَنْ ما تَواتِيشْ مْعَاهْ ارْفَاقَه

جيش التحرير احنا... ما ناش(فلاقة)[1]

هذا النشيد الذي يردده جنود جيش التحرير الجزائري في ساحات القتال نظمه الشاعر مفدي زكرياء بسجن (البرواقية) بلغة شعبية قريبة من الفصحى ومما يدل على كلماته:دمانه أي دماؤنا

دفاقة أي تسيل

علامنا خفاقة أي أعلامنا ترفرف

إحنا أي نحن

1-مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص69.

ماناش أي لسنا،فلاقة: كناية عن المنافقين

فين أي أين

الكذب حبله قصيف أي الكذب حبله قصير

راهو رجع له صوابه أي هاهو رجع له صوابه

الخاين ما تواتيش أي لا يتساوى وهي كناية على غدر المستعمر

ارفاقه أي رفاقه

ويقول في نفس القصيدة:

العالم كلُّه قْضَى على استعمارُه

غِيرالجزائرْتشْكِي صهْد نارُه

الحرما يرضَى يْكُون غير في دارُه

والغيرْيسلب ثروتُه وارزاقه

جيش التحريرإحنا... ما ناش(فلاقة)[1]

ومن الكلمات الشعبية نجد:

قضى أي قضى

صهد نار: لهيب النار

يْكُونْ غْرِيبْ: يكون غريب

يِسْلبْ ثَرُوتُهْ: يسلب ثروته

ويواصل الشاعر مفدي زكرياء فيقول:

على استقلالْنا يافرنسا ثُرْنا

وحتى شيْ في الدنيَا مايرجَّعْنا

واللي جهلْنا... غدْوَ... يسالْ عنَّا

1-مفدي زكرياء: اللهب المقدس ، ص70.

(قنطس) و (فم الطوب) و (عين الناقة)*

جيش التحرير احنا... ما ناش (فلاقة)

ومن الكلمات الشعبية التي وظفها الشاعر نجد:

وحتى شي: أي لا شيء يمنعنا عن الحرية

واللي جهلنا: أي الذي لا يعرفنا ويجهلنا

يسال: أي يسأل

إلى أن يقول الشاعر مفدي زكرياء:

الصدْرْضاقْ...والرْصاصْ تكلّمْ

صوتْ الجزائرْ منَ الجْبَالْ يدمْدمْ

الله أكبرْ... أنا عربِي مسلمْ

الروحْ هبّت للفدا مشتاقَه

جيش التحرير إحنا... ما ناش(فلاقة)[1]

فكلمة "الصدر ذاق" كناية على الحزن الشديد للشاعر وهذا جراء ما يحصل لوطنه من الجرائم التي خلفها المستعمر.

وما نستطيع قوله إن مجمل لغة هذه القصيدة كانت بلغة شعبية قريبة من الفصحى.

ومن القصائد التي كتبت بلغة شعبية، قصيدة "تيهي على الاكوان" يقول فيها الشاعر:

هذه الجزائر حافْلَة بنصرَتْها بحدْ السْلاحْ استرَجْعَتْ عزّتْها

واسقاتْ بدمْ احرارْها ترْبَتْها واليُومْ حرّه داخلَة جنّتْها

تِيهي على الاكْوان يا جزائر

وحدّثْ الاجيالْ يا نُفمبْر

ردِّي على التغريدْ يا ضْحَايا وزغرْدِي في العيْد يا صْبايَا

* – أسماء لساحات قتال دارت فيها الدائرة على جيش العدو ولاذ بالفرار متعثرا يجر أذيال الهزيمة.

1– مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص 70.

وردّدي الأصداء يا حْنَايَا تخْفَقْ لِهَا الاسْلاكْ في البْوايَا
تيهي على الاكوان يا جزائر
وحدّثْ الاجيالْ يا نفمبر
يا دولة لا تهمَّك كْراسي جْديدَة داوْمْ الاستقلال في تشْيِيده
الشَّعْبْ يطلُب منْكم عِيشَه سْعِيدَة للقْمَة ما يبقاشْ مادِدْ ايدُه
هذي نصيحة لشاعر ليلةْ عيدُه
تيهي على الاكوان يا جزائر
وحدث الاجيال يا نفمبر[1]

وفي هذه القصيدة نصيحة للعيش الرغد لكي نحافظ على صنيع الأجدادوالآباء الذين سبقوا الثورة بدمائهم الطاهرة وفدوها بأرواحهم.

وتتجلى اللغة الشعبية في أبيات هذه القصيدة من خلال كلمات:

واسقات/ بمعنى سقت ، لا تهمك/ لا يهمك ، داوم/ ما دام
ما يبقاش/ لايبقى ، مادد ايده/ يمد يده.

ومجل هذه الكلمات قريبة من الفصحى.

كما أن الشاعر مفدي زكرياء له قصيدة أخرى كتبها بلغة شعبية بعنوان "يا شباب الجيل" حيث يقول:

يا شباب الجيل راهو طال الليلْ قم واعمل تاويْل رانا في حالةْ
ضيعنا الايمان وانهار البنيانْ وعْمات الاذْهان عن الاصالهْ[2]

فقوله (طال الليل) كناية على طول الاستعمار، قم واعمل تاويل: أيإيجاد الحل فالشاعر يدعو الشباب إلىإيجاد الحل لهذا المستعمر الذي طال وجوده.

ثم يقول الشاعر:

تبعنا لحقادْ وانْكرنا لمجادْ بعد انْ كنا اسيادْ صرنا حثالةْ[3]

1- محمد ناصر: مفدي زكرياء شاعر النضال و الثور، ص234.
2- المرجع نفسه ، ن ص.
3- المرجع نفسه، ن ص.

تبعنا: تبعنا ، لحقاد: الحقد

وهنا كناية على تقلب الزمان و الحال فبعدما كنا اسياد صرنا عبيد.

ثم يقول الشاعر:

بلعثْنا الخمورْ واتفشَّ الفجورْ نيران الشرورْ فينا شعالةْ[1]

وهنا كناية على انتشار الوباء والجهل والشر.

ويقول الشاعر:

لا رجلة لا نيفْ لا ضَميرْ أنضيف وأعمالنا تزييف سودَا قتّالهْ[2]

وهنا إشارة إلى ذهاب الفحولة وحلول الذل.

ويقول الشاعر:

واحد قدْ الفيل تلقّى شعُرو طويلْ زيّ المادمزيلْ بين الرّجالهْ

ما شييترهوجمايل يتغنج سروالوا معوّج عينو دبالهْ

وافكاروا عوجا واخلاقو مرجا وقداموا عوجا فيها ذماله

ما تسمع يا حبيب غير كلام العيب أوقلّت لحيا أو سبّ الجلاله[3]

وهنا يشير مفدي زكرياء إلى التخنث المجتمعي وذهاب الرجولة،وكذا تفشي الأخلاق السيئة والتقليد الأعمى وانتشار الشتم و السب.

ومن الكلمات الشعبية نجد: زي: مثل ، مايل: مائل ، اقداموا: أقدامه ، لحيا: الحياء .

مرجا: وهي كلمة تعني الفساد.

ثم يقول الشاعر:

والبنت تقلد صبحت زيْ القردْ عراتْ الساقين صارت بوقالهْ

تمشي في الساحل كي عيشة راجل في الكبريات ديما جوالهْ

وهنا إشارة إلى ترجل النساء وفساد أخلاقهن بتقليدهن الأعمى.

1- محمد ناصر: مفدي زكرياء شاعر النضال و الثور، ص234.

2-المرجع نفسه، ص234-235.

3-المرجع نفسه، ص235.

ويقول الشاعر:

والأب المسكين يخزر بالعين عندو قلب حنين عينو هماله

والأم تربي تستر واتخبي واتقول يا حبي ماكي هجالهْ[1]

وهنا يشير الشاعر إلىإهمال الأب في توجيه الابنة وتربيتها على أسس سليمة وصحيحة ورضى الأم بفساد ابنتها.

ومن الكلمات الشعرية الواردة في البيتين نجد: يخزر: بمعنى ينظر،اتخبي: بمعنى تغطي وكذا كلمة "ماكي" بمعنى لست.

ويواصل الشاعر مفدي زكرياء فيقول:

هادي حالتنا يا لن يا لالنْ يا ليلِى يا عيني يا جماله[2]

وفي هذا البيت يتضح لنا أن الشاعر وظف أغنية شعبية والدال على ذلك كلماته "يا لن يا لالن يا ليلى يا عيني"

ثم يقول الشاعر:

عصر الازدهار فيه البسنا العار ضيعنا فيها الدار واصبحنا عاله

بعنا فلسطين والهمة والدين واخدعنا اليمين واصبحنا آله

واشربنا النفاق واشرينا الشقاق واذبحنا الأخلاق طوع الضلاله[3]

وهنا الشاعر يتحسر على ضياع وقتل الأخلاق التي أدتإلى دمار المجتمع وكذا تحسره على ضياع دم العروبة لغياب النخوة.

ويتابع الشاعر قصيدته قائلا:

والفنا الاسراف والخطف بزاف جيل الانحراف عرضو نخاله

يا رب والطفْبلامّهْ وارحم وانقذ جيل اليوم من الجهاله

يا شباب الليل راهو طال الليل قم واعمل تاويل رانا في حاله[4]

1- محمد ناصر: مفدي زكرياء شاعر النضال و الثور ، ص235.

2- المرجع نفسه، ن ص.

3- المرجع نفسه ، ن ص.

4-المرجع نفسه، ن ص.

وهنا يشير الشاعر إلى ظاهرة التبذير والإسراف، ويدعو الله أن يلطف ويرحم هذه الأمة من الانحراف والجهل.

ويختم الشاعر هذه القصيدة "يا شباب الجيل" بنفس البيت الذي بدأ به ليدل ويؤكد أن الشباب هو المسؤول عن بناء وطنه والحفاظ عليه، وقد وظف كلمات شعبية منها: والفنا أي تعودنا

بزاف أي كثيرا ، والجهالة أي الجهل.

ومن خلال هذه القصيدة الشعبية يبدو لنا الشاعر متهكم، لكنه في الحقيقة محزون حزنا شديدا وكئيب من تغير الحال وأصحاب الفضل، فقد صور فيهال الصور الحزينة التي آل إليهاأبناء هذا الجيل الذي كان يتغنى بصنيع الثورة وأفراحها، فبدل أن يحافظ هؤلاء الشباب على عزتهم وكرامتهم انتكسوا وخيمت الأحزان ساحاتهم حتى صار لا يعرف ذكرهم من أنثاهم ولا جهادهم من خيانتهم ولا فرحهم من تعاستهم.

غير أن القارئ المتفحص لهذه القصيدة الشعبية وغيرها يرى أن مفدي زكرياء معتز بأبناء وطنه كما أنه يلجأ إلى تعبير ساخر لا تفهم قصيدته التي ترمز للحزن إلا بعد قراءتها قراءة عميقة.

وفي هذا الفصل حاولنا إبرازأهم المقومات التي كونت المعجم الشعري في شعر مفدي زكرياء، سواء من الموروث الديني أم الادبي أم التاريخي أم الثقافة الشعبية مما زاد شعره عمقا ورونقا وجمالا.

الفصل الثاني

دراسة فنية لظاهرة الحزن في شعر مفدي زكريا

أولا : الأسلوب ودلالته

1- أسلوب النداء

2- أسلوب الأمر

3- أسلوب الاستفهام

4- أسلوب التوكيد

5- توظيف للضمائر

ثانيا : جمالية التصوير عند مفدي زكريا

1- توظيف الطبيعة

2- الأنسنة

3- التشييء

4- استحضار الماضي

أولا : الأسلوب ودلالته

1- أسلوب النداء :

ويعرف بأنه : "هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف تائب متاب (أنادي المنقول من الخبر إلى الإنشاء"[1].

فأسلوب النداء من الأساليب الإنشائية التي برزت بشكل ملحوظ في القصيدة الشعرية لمفدي زكريا، ومن أمثلة ذلك قوله :

وكم جحدوا فضلنا والجميـلا *** فكانالحساب عسيرا طويلا

وكم ألحقوا بالمهاجـر ذلا *** فذاق العذاب الأليم الوبيلا

فيا عام ستين قُصّ علينـا ***فضائح جيش يذوب غليلا

ويازارع الموت في أرضـهم *** همُ زرعوا فأقمنـا الدليـلا

سل السين كم قذفوا منضحـايا؟ وكم صنعوا المذهل المستحيلا•

وسل في المناجم كم من قتيل *** أهالوا عليه التراب الثقيلا

وكم في سجون فرنسا بريء *** من الداء والغدر عاش عليلا

هو الحقدطيّر صبر الرصاص *** فألهب منه القصاص الفتيلا

وأغضـب عيسى وراع الصليب *** فناشدَنـا أن نردّ المثيلا

صرخنا فلم يعبأوا بالصـراخ *** فلم يك غير القصـاص سبيلا[2]

الشاعر ينادي عام الستين، ويطلب منه أن يقصص عليه صيغ الفرنسيسي حينما رموا بأبناء هذا الوطن الجزائر في نهر السين، فماتوا غرقا في عمق البحر ولاذنب لهم سوى التضامن مع إخوانهم في الجزائر هناك.

1- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبعديع، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، 2007.

• - إشارة إلى الجزائريين الذين تظاهروا في باريس رجالا ونساء وأطفالا يوم 11 يسمبر 1961، تظامنا مع كفاح شعبهم والقت الشرطة الفرنسية بالكثير منعم في السين وماتوا غرقا.

2- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص 79.

ولم يتوقف الشاعر على رسم هذا المشهد الحزين، إذ زاده مشاهد أخرى حزينة وهي مافعلته فرنسا في إدخال الجزائريين إلى المناجم وذرف التراب عليهم وهم أحياء، فما أعظمه من مشهد أليم! في ذاكرة الشعب الجزائري والعربي والإسلامي، بل والمجتمع الإنساني ككل.

وذكر كذلك ما يمارس من أنواع التعذيب على الأبرياء في سجون فرنسا...، وكل هذه المشاهد أدت إلى صرخة حزينة عظيمة جماعية تندد وتستنكر على العدو ماصنع، غير أن هذا الأخير –العدو– لم يكترث ولم يعبأ بهؤلاء الصرخاء، فهم كذلك غيروا من نبرة الخطاب المندد إلى خطاب القصاص وما أعدل لغة القصاص بسبيلا!.

ويقول في أسلوب ندائي آخر، في قصيدته "رسالة الشعر في الدنيا مقدسة" :

سل العروبة هل ضجّت لشكوانا *** وسل أمية... هل رجّت لبلوانا؟
ويا ذرى الشام... هل هاجت مواجدنا *** فبارِكَ الشعر في ناديكِ لقيانا؟
ويا دمشق... هل ابتلّت جوانحنا *** بعد التنائي الذي قد كان أضنانا؟[1]

يعطي مفدي زكريا في هذه الأبيات الشعرية نزعته القومية، وطلب من مخاطبه أن يسأل العروبة في استفهام انكاري على أن أهمها أمرنا وهل استجابت لشكوانا وعظم بلوانا، ثم انتقل إلى نداء ذرى الشام سائلا إياها مواجده وأحزانه، هل اهتاجت واحترقت، ثم سأل دمشق على ابتلاء الجوانح بعد التباعد والتنائي.

ولم يجد الشاعر لنداءاته السابقة غير بركة الشعر التي جمعت المتشتتين في لقيا جميل بدمشق، فبهذا أصبح الشعر مطفئ أحزان الشاعر ومواجع أمته.

ثم عاد مستفهما مخاطبا السجن بأسلوب الغيبة على أن وحشته له ازدادت بسبب ألم فراق الأحباب والخلان في السجون، فلم يجد غير الشعر باثا ومؤنسا للواعجه وضرّه، فقال :

وهل درى السجن: أني بعد وحشته *** ألقى بجلّق أصحاباً وخِلانا
هي المشاعر... شبّتها لواعجنا *** فصاغها الشعر حباً من حنايانا[2]

1 محفوظ كحوال، أروع قصائد مفدي زكريا مع دراسة أدبية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، دط، دت، ص 72.

2 المرجع نفسه، ن ص.

ويقول في نداء على أسلوب الاستغاثة :

يا للفظاعة، من وحوش جوّع *** تسمو على أخلاقها الأنعام!

فهذا النداء يحمل ملامح الإستغاثة نتيجة الفضاعة التي تنتهجها السياسة الفرنسية الوحشية، التي هي تفوق وحشية الحيوان بل إن الحيوان أرقى وأسمى من فرنسا وأخلاقها. ويرد الشاعر في قصيدة أخرى على المستضعفين الجبناء الذين خيم الذل ساحتهم وكساهم العار لباس الخنوع والبلاد خوفا من فرنسا التي تخدع وتعطي الوعد، لكن هيهات لها من وفاء به ومن هذا القول قول الشاعر :

في قصيدة "الذبيح الصاعد" :

ياضلال المستضعفين، إذاهم *** ألقوا الذل واستطابوا القعودا

ليس في الأرض، بقعة لذليل *** لعنته السماء، فغاس طريدا

ياسماء، اصعقي الجبان، ويأأر *** ض ابلعي القانع، الخنوع البليدا

يافرنسا، كفى خذاعا فإنا *** يافرنسا، لقد مللنا الوعودا[1]

2- أسلوب الأمر :

الأمر هو : "طلب حصول الفعل على وجه الإستعلاء بأن الأمر نفسه عاليا لمن هو أقل نشآنا سواء كان عاليا في الواقع أولا، وهذا أنسب إلى سوء الأدب إن لم يكن عاليا، فالأمر يكون استعلاء مع الأدنى ودعا مع الأعلى والتماس مع النظير".[2]

وقد وظف الشاعر مفددي زكريا المر في كثير من قصائده ليعبر عن الأحداث التي يعاني منها، حيث يقول في قصيدة بعنوان "نشيد الشهداء"*.

اعصفي يا رياحْ واقصفي يا رعودْ

واثخني يا جراح واحدقي يا قيود

1 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 22.

2 السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني، البيان، البديع، ص 66.

* نظم بيبروس في زنزانة رقم 65 يوم 29 نوفمبر سنة 1938، وفي سنة 1956 صدر الأمر من جبهة التحرير إلى المحكوم عليهم بالإعدام أن يرددوه قبل الصعود للمقصلة.

نحن قوم أباة ليس فينا جبان

قد سئمنا الحياة في الشقا والهوان

لا نمل الكفاح لا نمل الجهاد

في سبيل البلاد ....

أدخولونا السجون جرعونا المنون

ليس فينا خؤون ينثني أو يهون[1]

توحي هذه المقطوعة الشعرية بأن الشاعر كان في حالة حزن واكتئاب، غير أن حزنه هنا كان ضمنيا فلا يعرف إلا من خلال تتبع معاني الكلام، حيث إن الشاعر راح يذكر صفات قومه الإيجابية التي لاتخشى عدوا و لاعصف الريح ولاقصف الرعد، ولاتهاب سيلان الدم ولا الجراح ولا القيود ولا الأغلال، في نظرة تفاؤلية ملؤها الشجاعة والإباء.

ولم يكتف بذكر مناقب الشهداء فحسب، بل راح يأمر الرعد والريح والجراح والقيود بأن تزداد، لأن شعبه سئم وحز من حياة الذل والهوان والشقاء فلم يرضى غير حياة العز والإكرام.

وهذا ما تبينه الأبيات الموالية في نفس القصيدة :

لا نمل الكفاح ..... لا نمل الجهاد

في سبيل البلاد ....

أدخولونا السجون ..... جرعونا المنون

ليس فينا خؤون ..... ينثني أو يهون

اجلدوا عذبوا ..... واشنقوا واصلبوا

واحرقوا ... واخربوا

نحن لانرهب ... ![2]

1 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 73.

2 المصدر نفسه، ص 73.

فالشاعر على الرغم من مكابدة حياة المهموم والأحزان في السجون، وتذوق مرارة الموت دون انقطاع، لم يكن سلبيا، بل كان إيجابيا أكثر ينظر بنظرة متأمل آمل في غد أفضل ينال فيه الإستقلال وتنسى فيه كل أنواع الهموم.

وفي خطابه بأفعال الأمر (اجلدوا، عذبوا، اشنقوا، اصلبوا، احرقوا، اخرجوا...)، دلالة على حرقة الشاعر من واقع البلد آنذاك الأليم المعذب المشرد والمخرب...، لكن هذا لم يمنعه من النزعة التفاؤلية، فذكر كلمة هي بمثابة عنوان كاف للرد على سياسة استدمارية غاشمة، وهذه الكلمة هي (نحن لانرهب)، فذكر الوطنية بالضمير الجمعي "نحن" وذكر عدم الرهبة والخوف.

بل وجعل حزنه هذا فداء لبلده الطيب (الجزائر) وهذا ماذكره في أواخر القصيدة :

نحن نفدي الجزائر *** بالنفوس والدما

شعبنا عش وفاخر *** وارفع العلما

لا نمل الكفاح *** لا نمل الجهاد

في سبيل البلاد ...[1]

أي إن أمام عيش الجزائر الكريم تذاب الأحزان وتصبح أفراحا، ويقول في قصيدة "نشيد بربروس"، كلاما شعريا جميلا يقوي ماذهب إليهفي القصيدة السابقة فبدأ بقوله :

يا ليل خيم... و اعصفي يا رياح

يا افق دمدم ... و اقصفي يا رعود

إلى أن يقول :

يا سجن إزخر ... بجنود الكفاح

فانت يا سجين ... طريق الخلود..!!

أنت محراب الضحايا

في حناياك الاسود

1 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 75.

أنت ... أنت ... أنت ... يا بربروس...

فالسجن على ضيقه أصبح في ذات الشاعر، وكل من معه من المكافحين مكانا واسعا رحبا، وطريقا للخلود ومحرابا للأسود، إذ هو صار مصنعا للمجد ورمزا للفدا ومنبعا لمهبط وحي شعري يبقى ببقاء الزمان والمكان، وهذا ماتبرزه الأبيات الآتية :

يا مصنع المجد و رمز الفدا يا مهبط الوحي لشعر البقا

يا معقل الابطال و الشهدا يا منتدى الاحرار و الملتقى

أصبحت يا سجن لنا معبدا عليك نتلو العهد و الموثقا[1]

3- أسلوب الاستفهام :

عرف بأنه : "هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل".[2]

كما عرفه السكاكي بأنه : "طلب المراد من الغير على جهة الاستغلاء".[3]

ويعرف بأنه : "هو طلب المتكلم من مخاطبة أن يحصل في ذهنه مالم يكن صالحا مما سأله عنه".[4]

وظف الشاعر الاستفهام في الكثير من قصائده ليعبر ويستفهم عما يجده في الواقع الذي يحياه، وهذا استمرار للأحزان التي يعاني منها، يقول في قصيدة له بعنوان "ما تخفيه ياعام سنينا؟".

عام مضى كم به خابت أمانينا *** ماذا تخبئه يا عام ستينا ؟

هل جئت يا عام بالبشرى تباركنا ؟ *** أم جئت يا عام بالأحلام تلهينا ؟

هل كان عيدك للتحرير بادرة ؟ *** أم كان للظلم و الطغيان تمكينا؟

1 – مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 76.

2 عبد اللطيف شريفي، زبير دراقي، الاحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، دت، ص 33.

3 السكاكي أبويعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 133.

4 السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج7، تح: عبد العالي سالم مكرم، عالم لكتب ، القاهرة، ط3، 2003، ص43.

وهل لفجرك أشباه، تعاودنا *** نسى بطلعتها العزا دياجينا؟[1]

الشاعر هنا يستفهم من عام تسينا الذي أصبح يدل على تذكار الحزن والألم والقلق النفسي جراء ما تصنعه يد الاستعمار من بطش وظلم وتنكيل يمارس على الجزائريين، فراح الشاعر في شكل استفهامات انكارية على طريقة تجاهل العارف ليزيد من حدة الحقد على هذا العدو الغاشم الظالم المستبد الذي لايوحي إلا بالدياجير والظلام لهذا الشعب الجزائري الذي كان يناشد استقلاله ويرجو حريته.

وعلى الرغم من هذا المشهد الحزين الذي بعثه عام ستين إلا أن الشاعر كان متفائلا، حيث عبر بلفظة عام التي توحي بالنماء والخير والاستقلال في مقابل كلمة سنة التي توحي بالدمار والخراب واللاأمن.

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان "تلكم الرشاش جل جلاله" :

أكباد من...؟ هذي التي تتفطر؟

ودماء من...؟ هذه التي تتقطر؟

وقلوب من...؟ هذه أنفاسها.

فوق المذابح للسماء، تتعطر؟

ورؤوس من...؟ تلك التي ترقى إلى.

حبل المشانق، طلقة تتبختر؟

ومن الذي...؟ عرض الجزائر شبها.

من كل شاهقة، لظى تتسعر؟

أجهنم...هذي التي أفواهها.

من كل فج، نقمة تتفجر؟؟

أم أرض ربك، زلزلت زلزالها.

لما طغى، في أرضه، المستعمر؟

1 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 129.

غضب الجزائر...؟ أم أحرارها.

ذكروا الجراح، فأقسموا أن يتأثروا[1]؟

بدأ الشاعر هذه المقطوعة الشعرية بلفظة (أكباد) وهي مفرد "كبد" ليدل على مرارة المشهد الذي آلت إليه الجزائر حينما احتلها المستدمر الغاشم الفرنسي، والشاعر هاهنا قال :

أكباد من ...؟ ليدل على أن صاحب هذا الكبد كان بريئا، ولم يغترف أي ذنب، فيكف بأن تتغطى وتتبع أحزانه ودماؤه وتتقطر.

ثم واصل خطابه وقلوب من ...؟، دلالة على أن الاستعمار حينما دخل أرض الجزائر لم بترك قلب صبي ولاشيخ ولاعجوز إلا وقد استعمره ومارس عليه أنواع الغدر بلا إنسانية وبلا روح، حيث إن هذا الإستعمار اتهج سياسة الذبح وتقطيع الرؤوس على جبال المشانق وطلقات الرصاص الفتاكة التي تلهب الأخضر واليابس، وتشعر المظلوم بالقلة والشحن والاغتراب حتى في البلاد.

كما أراد الشاعر من خلال هذه الأبيات أن ينبه إلى شيء جوهري، وهو العتاب على من باع أرض الجزائر التي لاتشتري ولاتباع بأي ثمن، فهي بلد الإباء والشجاعة، والعزة والكرامة التي لاتخضع لأي سلطة مهما كانت صفتها ووسائلها الحربية، ذلك أن أهل الجزائر جعلوا من الجراح أملا وأمنا مفتوحا فقفزوا فوق الجراح بغضبهم الثوري، فثأروا لينالوا بذلك شرفهم وعزهم، فمن مات فيهم كانت مثواه الجنة ومن بقي منهم رضي بكل شيء إلا أن تهان الجزائر فلا ولا ... وهذا مادل عليه قول الشاعر :

أم أرض ربك، زلزلت زلزالها.

لما طغى، في أرضه، المستعمر؟

أرض الجزائر، والسماء، تحالفا.

فاختط حلفهما النجيع الأحمر! [2]

1 – محفوظ كحوال: من اروع قصائد مفدي زكرياء، ص 164.

2– مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 115.

ويقول الشاعر في قصيدته "أسفير نحو أملاك السما؟" *:

أي صقر في السماوات اختفى؟ أي نجم في النهايات انطفى؟
أسفيرا نحو أملاك السما أم " لبيكين " بعثتم مصطفى؟
أم رأى في الأفق ما قد راعه ؟ في بلاد الصين نبلا ...فهفا؟
أم هما في ناظريه اشتبها؟ ظن أن الأفق" صينا *" فاكتفى؟
أم رأى الخلد قريبا فدنى؟ ورأى أمثاله فانعطفا ؟
راود العزة في الأرض فهل واعدته في السمآ فانصرفا ؟
أم رآه الشهداء نحوهم يتسامى ... فدعوه للوفا ؟
لم يشأ أن يتفانى وحده في الوفا.... فاختار آلَ مصطفى؟[1]

في هذا النص الشعري نعي لسفير الجزائر العاصمة الصينية (بكين) وهو (مصطفى فروخي)، الذي احترق مع جميع أفراد عائلته في طائرة كانت تقله من مصر إلى الصين سنة 1960، وكان ذاك في يوم تعيينه، وفي هذا نلمس دلالة على أن الشاعر كان حزينا لهول ماحدث، فكيف برجل يعين سفيرا وفي ساعته التي عين فيها قُتل، إنها مؤامرة حربية وزعزعة قد تكون داخلية (أنظمة عملية وجوسسة استعمارية)، وفي هذا المشهد الدرامي الذي كان عنوانه الغدر يبدي الشاعر أحزانه في شكل استفهامات توحي بمدى تأزم الحالة الشعورية للشاعر.

والشاعر وصف هذا البطل المغوار بأنه صقر والصقر لايقتل بسهولة، بل بطريقة درامية ملؤها الغدر، فهذا الصقر الجزائري على الرغم مما حصل له، إلا أن موته في ذاكرة الشاعر الداخلية كانت بنظرة إيجابية، فإما قتل ليلتحق بالرفاق في الجنة حينا نادوه ودعوه، أو أن هذا الأمر لم يكن ذات المقتول، بل كان عملية غدر وكفى؟.

ما دهاه .. ويل؟ أمه .. ما دهاه ؟ ويلتاه، من جيله ويلتاه

* هذه القصيدة ألقاها الشاعر في الجنازة الرهيبة للشهيد مصطفى فروخي بتونس احترق مع جميع أفراد عائلته في الطائرة التي كانت تقله إلى بكين.

1 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 165.

ما له في الحياة، يولد أعمى ؟ لم تر الكون باسما مقلتاه ؟

ما له مقعدا، يدحرج رجليه؟ وماذا جنى، فشلت يداه ؟

ماله، لم تزل تهدهده الأم ولم نستمع لها، أذناه؟

ماله أخرسا، تناجيه في المهد ولم تبتسم لها شفتاه ؟

ولماذا لم يبك، بين ذراعيـ ـها دلالا... ولم يقل : أماه؟

ألهذا الوجود، جاء وحيدا؟ أم له في زمانه أشباه ؟

ويلتاه من جيله ويلتاه؟[1]

وفي هذه الأبيات يتساءل الشاعر في حزن واستغراب عن فعلة المستعمر الغاشم التي قام بها وهو تفجيره للقنبلة الذرية، أهو أعمى؟ أم أنه معقد يدحرج رجليه؟ وفي مجمل هذا النص تساؤلات توحي بالحالة النفسية الحزينة التي آل إليها الشاعر، ثم واصل في وصف وحشية الاستعمار وما خلفه من حزن وألم.

لم يكن حزن الشاعر وألمه محصورا على جراح وطنه الجزائر بل تعداه إلى جراح المغرب العربي، وفي ذلك يقول في قصيدة له بعنوان "بنيت بروح شعبك عرش ملك"* :

إلى ما تظل تلسعنا الجراح؟ وفيما تبيت، تنهشنا الرماح؟

وهل في المغرب العربي يوما سينقطع التوجع والنواح؟

وهل من بعد ضائقة وعسر بما قد نشتهي، تجري الرياح؟[2]

فالشاعر يتساءل في حزن عن مدى استمرار جراحه؟ وهل سينقطع الألم والنواح يوما ما؟؟ وهل بعد الضيق والعسر سيأتي ماتشتهيه الأنفس؟، وهو الفرج والفرح والحرية والاستقرار...

1 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 139.

2 المصدر نفسه، ص 183.

* رثاء المغفور له جلالة محمد الخامس أرسلها الشاعر من تونس للعائلة المالكة والشعب المغربي يوم وفاة الملك الراحل.

4- أسلوب التوكيد :

ويعرف بأنه : "تثبيت الشيء في النفس وتقوية أمره، والغرض منه إزالة ماعلق في نفس المخاطب من شكوك، وإماطة ماخالجه من شبهات".[1]

وقد وظف الشاعر التوكيد في قصائده، حتى يثبت مايريد الذهاب إليه، ولنا الكثير من قصائده ما يدل على ذلك، ومن نماذجها ما يأتي :

إني بلوتك في ضيق، وفي سعة وذقت كأسك، لاحقد ولاحنق

إن الشاعر في هذا البيت الشعري يؤكد ويصر على ألفته للسجن الذي ذاقه في حياته، وكان مذاقه حلوا، على الرغم من مرارته لدى النفس الانسانية وغيرها، وفي السجن أيضا جرب الشاعر حياتين، حياة الضيق وحياة السعة فاستويتا عنده لأن السجن يحبه، والذي بيّن فحوى هذا الخطاب السياق الشعري الوارد فيه البيت السابق، حيث نجد مفدي زكريا يقول :

ياسجن، ما أنت؟ لا أخشاك، تعرفني من يحذق البحر، لايحدق به الغرق

إني بلوتك في ضيق، وفي سعة وذقت كأسك، لاحقد ولاحنق

أنام ملء عيوني، غبطة ورضى على صياصيك، لاهم ولاقلق[2]

فلو قال (بلوتك) لكان الخطاب موجها إلى شخص يعرف الخبر ولايشك فيه ولاينكره، لكنه بتوظيف الأداة (إن) التي هي للتوكيد دل على أن المخاطب الذي يعيش وراء جدران السجن وخارجه لايعلم بحال الشاعر في السجن، وكان يتوقع أنها ألما وغربة وضيقا وهما...، لكن الشاعر راح يعلم هذا الشاك المتوقع بأن الحياة السجينة لمفدي زكريا ماهي إلا كالحياة خارجه، فالشاعر عنده مستوى التبر والتبن كما يقال في المثل العربي، ومن مواطن التوكيد لقصيدة مفدي زكريا قوله :

1 عبد الطيف شريفي، زبير دراقي، الاحاطة في علوم البلاغة ، ص 33.

2 مفدي زكريا، من أروع قصائد مفدي زكريا، ص 82.

والغوطتان... رأيت الله عندهما وماتعبدت...دون الله...أوثانا

لولا التقى ... لحسبتالخلد دونهما حسنا... وسميت...(قاسيون) رضوانا.[1]

الشاعر هنا يبين وحدانيته لله تعالى، ألاّ معبود بحق سواه، لامن صنم ولاوثن، ولا رجل ولاهُبل... وألا جنّة ولاخلد ولا رضوانا، إلا ما أعطاه الله للعبد يوم تقوم الساعة. لكن الشاعر ذكر (الغوطتان) وهما : الغوطة الشرقية والغربية في الشام، وذكر التقى معهما والرضوان ورأى بالامتناع للوجود أنهما يستحقان العبادة وما أكده إصراره هذا توظيفه (للام التوكيد) في الفعل (حسبت)، فقال :

لحسبت الخلد دونهما.

ومن الأساليب التي لجأ إليها مفدي زكريا للتوكيد على حاله وما أصاب شعبه وأمته ووطنه العربي أسلوب التكرار الذي مفاده التوكيد إلى جانب الجمالية واطلإيقاعية ومن ذلك قوله :

إن يحسب "الفاتكان" السلم فلسفة ففي الجزائر من بالفتك يغزونا

وفي الجزائر، للتنكيل، مدرسة تعلم الفتك بالشعبن الشياطينا

وفي الجزائر، للتمثيل محكمة فيها، الفظائع، سموها قوانينا

وفي الجزائر، نيران موججة تذرو المساكن، لم تعف المساكنا

وفي الجزائر، أرواح مقدسة هلت من الملأ الأعلى، تناجينا

وفي الجزائر، قطاع، قد التهموا خير الجزائر، زقوما وغسلينا[2]

حيث كرر الشاعر ذكر (الجزائر) لأنه مثلت له كيانا، ويقول في موضع آخر :

إذا لم يك الصلاح دليلا في المساعي، كانت ضلالا وخسرا

وإذا أخطأ القيادة (توفيق وعقل، كانت على الشعب، وقرا

وإذا العاملون، كانوا اشتاتا بشر العاملين، ويلا وشرا

إنما يكتب البقاء، لشعب حين يختار جنده، يتعرى

إنما يكتب الخلود، لحر ذي ضميره عاش حرا[3]

1 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 244.

2 المصدر نفسه، ص 129.

3 المصدر نفسه، ص 238.

وتكرار الشاعر هنا يدل على الإصرار .

ويقول مفدي زكريا :

وتحت خيامها، انسحبت عيون لها "هاروت" قد سجد إحتسابا

وتحت خيامها، انجست عيون أسالت من فم الدنيا، لعابا[1]

وهنا دلالة على أن الجزائر بلد خير وعطاء.

5- توظيفه للضمائر :

وظف مفدي زكريا الضمير بكثرة، نمثل له بما يأتي :

بيروت... ما أنت...؟ أبي محشر شادت مبانيك، يد الصانع؟

هم بشر أهلوك؟؟ أم جنة نصحب، في جمهورك الهارع[2]

وظف الشاعر الضمير المنفصل "أنت" وتاء التأنيث الساكنة في كلمة (شادت) والكاف في (مبانيك) والضمير "هم" في بداية البيت الثاني، والكاف في (أهلوك) و(جمهورك) مما أدى إلى اتساق النص الشعري وانسجامه، فأنت تعود على (بيروت) الأنثى الجميلة التي رمز الشاعر فيها إلى قوميته، وتاء التأنيث الساكنة تعود على المباني وتقدمت عليها، والكاف في (مبانيك) تعود على (بيروت) مما يدل على إصرار الشاعر وتوكيد حبه لبيروت، و(هم) تعود على أهل بيروت الغائبين عن الشاعر، والكاف في (أهلوك) و(جمهورك) تعود على بيروت.

وفي قوله :

تخف في هذه الجزائر إخوان جراحاتنا الثخينة (حمرا)[3]

وظف الشاعر الضمير المنفصل (نحن) الذي هو عمدة في الكلام وأصل ليدل به، على تلاحم المجتمع الجزائري، الذي هو شعب واحد، ولاتفرقه أيّ أيد من خيانة أو من بطش أو من مكر أو من خديعة أو أي منافق...، وكذلك الضمير (نا) في كلمة

1 محفوظ كحوال، من أروع قصائد مفدي زكريا، ص 172.

2 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 275.

3 المصدر نفسه، ص 240.

(جراحاتنا) والـ(نا) تعود على (نحن) والتي تعود على الشعب الجزائري الذي حول الجراح والآلام بتعاضده إلى أفراح وأعراس.

ومن توظيف الضمائر أيضا ضمير المكتكلم (أنا) ومنه قول الشاعر :

أنا بنت الجزائر أنا بنت العرب
أنا أرمي القنابل والمسدس جنبي
أنا هو المناضل أصطفيه بحبي
أنا أفدي المقاتل بعيوني وقلبي
وأنادي البواسل حطموا غل شعبي[1]

وقوله :

أنا ابن الجزائر ... من أمه على دمها تصعد الراية[2].

وظف الشاعر الضمير (أنا) في الأبيات السابقة، وكان مرة عائدا على الأنثى، وفي الثانية على الذكر، وهذا الذكر والأنثى هما أبناء هذا الوطن المفدى الذي يقاتل فيه جميع شرائح المجتمع من ذكر ذكر وأنثى وصغير وكبير وشيخ وعجوز...

وفي المقطوعة الأولى (أنا) تعود على بنت الجزائر التي راحت تصر على انتمائها وهويتها الجزائرية العربية، وعاى أنها بنت ثورية فهي أرمى القنابل والمسدسات، تهوى المناشل وتقربة منها، وتفديه بعينها وقبلها، وتنادي الشجاع الباسل ليخلص الوطن من المشاكل والأحزان والآلام والأغلال والقيود...

أما في البيت الثاني المتفرد فـ(أنا) تعود على ابن الجزائر الذي يسري فيه دم العروبة الثائر الحالم لغد أفضل، حيث إن دماءه وأشلاءه تسعد الروابي وتفوح العطور.

1 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص ص 79-80.

2 المصدر نفسه، ص 287.

ثانيا : جمالية التصوير عند مفدي زكريا.

1- توظيف الطبيعة :

لقد وظف مفدي زكريا الطبيعة في قصيده الشري مرارا وتكرارا، مما يوحي بنزعته الانسانية من جهة، والحزينة الألبسة من جهة أخرى، المكسوة بالطابع الرومانسي الذي يستحضر الجمال والبهاء الطبيعي من أزهار وألوان وليل ونهار وجبال وسهل وهضاب وسفوح وأراضي وسماوات، بالإضافة إلى توظيف الطبيعية في جانبها الآخر الذي يرمز إلى الدمار والخراب مثل : عصف الريح وقصف الرعد...، وهذا مانجده مستجليا في قصائده بوضوح منها قصيدته "إلى أغادير الشهيدة".*

اضطرب يابحر، واخفق يا فضا واحتدم يا خطب، وانزل يا فضا...

وارجفي يا أرض أولا ترجفي أنا في المحنة لا أدري البكا

واخسفي يادار أولا تخسفي أنا من علمه المجد البنا

كم يلوت الدهر في حالاته أتحداه شموخا، وإبا[1]

حيث ذكر ضربة البحر ومالها من ألم، وهزة الفضاء ومالها من فزع، واحتدام الخطوب في الحروب وماله من وجع، لكن ذكر بعدها النزعة التفاؤلية وهي رد الأمر إلى القضاء والقدر، ثم ذكر الأرض مخاطبا إياها بأن ترجف أولا، فكلاهما سواء فانا لا أهاب ولا أدري كيف البكاء، ثم بالطريقة نفسها خاطب الدار تخسف أولا لأنه ألف حياة الهدم وكان يتصدى لها بالبناء، والشاعر لم يتصدى كما سبق فحسب، حيث هو راح يعادي حتى الدهر الذي يقصد به الزمن، وما أدراك ماتحولات الزمان، وتقلباته؟!، وهذا وهذا مايبرزه البيت الأخير :

كم بلوت الدهر، في حالاته أتحداه شموخا وإبا

و الأداة "كم" هنا خبرية أي إن البلاء لم يبرح حياة الشاعر وأهله الجزائر لكن قوبل هذا الحزن والشجن بالرضا والطمأنة والشموخ والإباء.

---

* نظم الشاعر هذه القصيدة إثر زلزال أغادير بالمغرب الأقصى في شتاء سنة 1960.

1 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 143.

ومما يبين تفاؤله من خلال توظيفه للطبيعة على الرغم من ازدياد الأحزان ولوعة الفراق ومرارة الاحتراق قوله :

هاجه المحفل الرهيب، فقالا وتغنى، يخلد الاحتفالا

إلى أن يقول :

عزفته النجوم، للكون لحنا فكلتا الكون، روعة وجلالا

عصرته يدا الجزائر خمرا أحمرا كالدماء، عذبا زلالا

زرعته الأشلاء في الحقل زهرا غمر الأرض، فتنة وجمالا

سكبته روح "الفدائي" عطرا ضمخ السهل، والربى، والجبلا[1]

فالقرح أصبح فرحا والألم شفاء، والدم خمرا لذة للشاربين زلالا غير محرمة والأشلاء أضحت زهرا ووردا يغمر الأرض وسيحرها بفوح عطره.

2- الأنسنة :

من اشتقاق المصطلح يتضح لنا أنه منسوب إلى الانسان أو الشخص، وبالتالي فإن الأمر يتعلق بإضفاء وصفة الانسانية على بعض الأشياء الجامدة أرحت المتحركة، لتبدو للمتلقي انسانا لكنها في الأخير ليست إنسانا، وبهذا تظهر الأفكار والمعاني الجامدة في صور جديدة محركة تنبض بالحياة والحيوية والأنسنة ومن أمثلة ذلك :

قول الشاعر في قصيدته "الذبيح الصاعد" :

"واقض ياموت في ما أنت قاض أنا راض، إن عاش شعبي سعيدا"

"أناإن مت فالجزائر تحيا حرة مستقلة، لن تبيدا"

قوله، ردد الزمان صداها قدسيا، فأحسن الترديدا[2]

فالشاعر هنا ذكر الموت الجامدة ليعطيها حركية ونفسا وديناميةوأمرها وكأنه يأمر انسانا وشخصا بعينه فقال لها (أقض)، أي أيها الموت أنا لا أخافك على لسان الشهيد (أحمد زبانا)، الذي رضي بالموت على أن يبقى شعبه على قيد الحياة ينعم بالحرية

1 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 159.

2 محفوظ كحوال، من أروع قصائد مفدي زكريا، ص 54.

والاستقلال ويرددهما في كل الأحوال والأزمان، وبهذه الانزياحية ومخاطبة غير العاقل بالعاقل لدلالة نفسية توحي بعظم الرهافة الحسية المشاعرية للشاعر التي كان يتكبّدها.

ومن مواطن التشخيص (الأنسنة) في قصيد مفدي زكريا قوله في قصيدته "وتكلم الرشاش جل جلاله" :

وتكلم الرشاش، جل جلاله!

فاهتزت الدنيا، وضج النيّر.

وتنزلت آياته، لهابة.

لواحة، أصغى لها المستهتر.

والنار، للألم المبرح، بلسم.

يكوى بها العظم الكسير، فيجبر.

والغاضبون، العابثون، إذا هم.

سمعوا الحديث، من الحديد تدبروا!

والعزل والمستضعفون، إذا هم.

تركوا القيادة للرصاص، تحرروا![1]

حيث جعل الشاعر الرشاش في صفة انسان يتكلم على طريقة الاستعارة المكنية في الدرس البلاغي العربي! فالرشاش لا يتكلم حقيقة وإنما يدوي ويصدر صوتا غير مفهوم، فما بالك حينما أصبح يصدر كلاما مفهوما فصيحا يخاطب الشعب أن ما أخذ بالقوة لايرد إلا بالقوة.

وكذلك في قوله تركوا القيادة للرصاص فالرصاص لايقود وإنما القائد هو الذي يتولى ذلك، لكن لماذا وظف الشاعر هذا النوع؟، لأنه يريد إثبات وتوكيد لفة الرصاص للرد على العدو الذي لايفهم لغة المحاور، وهذا مازاد الصورة الشعرية وضوحا، والرشاش والرصاص توحي بأن الشاعر كان في موطن التأثر الذي غلبته يد الاستدمار وخيمت

1 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 116.

عليه الأحزان والآلام ردحا من الزمن، أفلم يئن الوقت لقتل هذا الدمار ورفع هذا الحصار والقلق النفسي الذي ساد الأرجاء، بلى واللغة في ذلك كانت لغة الرشاش والرصاص.

3- التشييء :

يقول مفدي زكريا في قصيدة بعنوان، "فاشهدوا النشيد الرسمي للثورة الجزائرية" :

يا فرنسا قد مضى وقت العتاب و طويناه كما يطوى الكتاب

يا فرنسا إن ذا يوم الحساب فاستعدي وخذي منا الجواب

ان في ثورتنا فصل الخطاب و عقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا.[1]

إن المتأمل بحق في هذه الأبيات يرى أن الشاعر راح ينادي فرنسا، وهو لايقصد البلد وإنما يقصد أهله خاصة حكامه الظالمين المستبدين على طريقة المجاز المرسل في الأسلوب البلاغي العربي مثل قوله تعلى : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا).[2]

وهذا المجاز يوحي بأن الشاعر في ندائه لفرنسا أنه أراد أن يجعلها مشيئة، بمعنى أن أحكام فرنسا أصبحوا كالأشياء التي لاروح لها ولا قبلة ولا فؤاد... التي تبتعد عن العالم الإنساني وقيمة الإنسانية.

ولعلّ في هذا الخطاب معنى باطني فحواه حزن وألم الشاعر لصنيع هذا الغاشم المدمر لكل ماهو جميل ونبيل تأبه الإنسانية جمعاء على اختلاف ألوانها وعقائدها وجنسيتها وأعرافها وحتى ثقافاتها...

وأراد الشاعر من هذا النشيد أن يبدد الأحزان الأحزان التي استظلت بظلالها أمدا بعيدا في بث الألم والأشجان على هذا الوطن الجزائر الغالي في النفوس المفدى بدماء الشهداء ودعوات الأبرياء، وتجلى ذلك من خلال نبرة التحدي والصمود التي تميز بها الشاعر وأبناء جيله ووطنه، فذهب يخاطب عدوه بأنه زمان الجهل والذل والعار قد

1 محفوظ كحوال، من أروع قصائد مفدي زكريا، ص ص 99 – 100.

2 سورة يوسف، الآية 82.

انقضى زمانه وأفلت أيامه فلا بد من استخلاف واستبدال هذا العار بالشجاعة الإباء والثورة والإقدام والعزيمة والكبرياء من أجل تقرير المصير وفل الخطاب...

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان، "وليد القنبلة الذرية" :

شعب إفريقيا، أحاط به المكر فأمسى لمجرمين، ضحبة

ورمته عبر القرون، فرنسا طعمة للقنابل للقنابل الذرية

وسرى الموت فيه، جيلا فجيلا يوم هزت شعوبه الحيوية

شعب إفريقيا، ستتصفك الـ ـدنيا، وتصغى لك الشعوب الأبية

وسيحكي هذا الزمان، ويروي للبرايا، فضائع، المدينة

فخذ الثأر من فرنسا، وخلد في الضحايا تلك النفوس الزكية

وانفجر صارخا... وقل : بافرنسا أنت في الأرض، هفوة أزلة!

يافرنسا ... يالعنة البشرية !![1]

فالشاعر في هذه القصيدة وبالأحرى في هذه الأبيات يقزم شأن فرنسا بما فعلته من نشر قنابل ذُرية في شعوب إفريقيا، لاسيما الجزائر منها، حيث أصبحت في ذات الشاعر شيء يرمى ولا فائدة منه إلا جني التدمير والتحطيم والتخريب والتحريم لكل ماهو قويم في عالم الإنسانية، حيث إن فرنسا المجرمة أحزنت الشعب الإفريقي وأحدقت به المكر والخداع فأضحى فريسة لها على طول الزمكان ذلك أن القنبلة الذرية مازالت عواقبها الوخيمة تجتنى حتى إلى الآن في الصحراء الجزائرية.

ولكن الشاعر على الرغم من كل هذه الأحزان والهموم كان ينظر بنظرة شاملة مستقبلية تتطلع إلى الأفضل وتحكي المجد الخالد الذي سيعلن فرنسا أيما لعن كما لعنته باقي البشرية نتيجة أعماله التخريبية والعدوانية على عالم الإنسانية، وما يؤكد هذه الصرخة القوية قول الشاعر :

1 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 141.

يافرنسا... يالعنة البشرية !!

ففرنسا انتقلت من عالم الإنسانية إلى عالم الحيوانية والوحشية في الأنا الشاعرية وحتّى في الجماعية.

4- استحضار الماضي :

ومن ذلك قول الشاعر مفدي زكريا في قصيدته "يقدس فيك الشعب أعظم قائد"*.

اذا ذكر التاريخ أبطال أمـــة يخر لذكراك الزمان و يسجـد

و ان تذكرالدنيا زعيما مخلـــدا فانك في الدنيا الزعيم المخلـد

أثرت على العاتبين حربا و لم تزل عليهم تلظى كالجحيم و توقـد

و سطرت للأحرار بالدم غايــة لها المهج الحرى طريق معبـد

فما خمدت نيران حربك لحظــة و هيهات نيران الجزائر تخمـد

هي الثورة الكبرى دلعت وما فتئت أشكالها تتجد[1]

إن حزن مفدي زكريا على أبطال الجزائر لايتوقف بمماتهم، بل هو ذاكرة في قلبه لاتموت، حيث نجده يستذكر تلكم الأبطال الذين صنعوا الذين صنعوا مجد الجزائر المكافح للاستعمار الفرنسي، ومن هؤلاء المير عبد القادر الذي يبقى اسمه راسخا في الأذهان تتداوله الأجيال جيلا بعد جيل، فربط ذكر التاريخ بذكر الأمير، وإن تستذكر الدنيا زعيما ومناضلا فتذكر المير لما له من أهمية من قتل الفشل ومحاربة العدو الذي جاء بالأحزان والتأزم والأسى للشعب الجزائري.

فالشاعر رأى في ذكر الأمير طمأنة لنفسه الحزينة لما آل إليه الأمر بعد وفاته، فالأمير غير ميت فهو حي عند الله يرزق (الشهداء)، وحيّ في ذاكرة الشعب لايموت.

* - مناسبة هذه القصيدة الذكرى الثامنة والسبعون لوفاة القائد البطل المقاوم الأول المير عبد القادر الجزائر الشهر ماي 1883-1960.

1 محفوظ كحوال، من أروع قصائد مفدي زكريا، ص 178.

والشاعر لم يتوقف على نزعته القومية من ذكره لبطل الجزائر، حيث هو امتد ليخرج خارج الوطن، ويعبر عن قوميته من ذكره واستحضاره لتاريخ عيد الاستقلال تونس لينيّن إلتزامه بقضايا أمته، حيث يقول :

أشرف العيد فانشروا الأعلام و املأوا الكون بهجة وابتساما
وارفلوا اليوم، في المدائن تيها وارفعوا في السماوات هاما
واشربوا يوم الخلاص كؤوسا ياركتها الدما فصارت مداما
يوم عشرين، يارعى الله يوما فيه قد نالت البلاد المراما
وغدا الشعب، بعد طول جهاد ماسكا فيه للمصير الزماما[1]

وفي هذا الاستحضار التاريخي لنيل تونس استقلالها أراد الشاعر من خلاله تهدئة خواطر الشعب الجزائري الثائر، والقول له بأن تونس أخذت استقلالها، فكذلك نحن سننال حريتنا واستقلالنا مهما بعدت الشقة وطالت.

المتتبع للأبيات الشعرية التي مثلناها، بل لكل قصائد مفدي زكريا يرى أنها تدور في حقل دلالي واحد، وهو شعر الثورة الملحمي البطولي المنادي للقضاء على أنواع البطش والطغيان الذي صنعه الاستعمار العدواني، ومن جهة أخرى يدعو إلى قتل الأحزان والآلام وأنواع الظلام التي فتكت بالشعب الجزائري لهذا لم تتضح نزعة الحزن لدى الشاعر لغلبة الطابع الثوري التفاؤلي عليها.

وربّ قارئ لهذه المذكرة أن يتساءل عن سبب تكرار بعض الحالات الشعورية، وكذلك التعبيرية فجوابه أن الشاعر كانت له حالة شعورية واحدة، فوظف اللغة لها خادمة موحية ومصورة وهذا لاغرابة أن وجد التكرار المعنوي متفشيا في قصيده، لأن الحالة تتكرر فكررت اللغة وتردّدت لها لتزيدها تشخيصا وتجسيدا على أرض الواقع،اي لتخرجها من المسكوت عنه إلى المعلن، ومن الأنا إلى الآخر ومن الداخلي إلى الخارجي.

1 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 179.

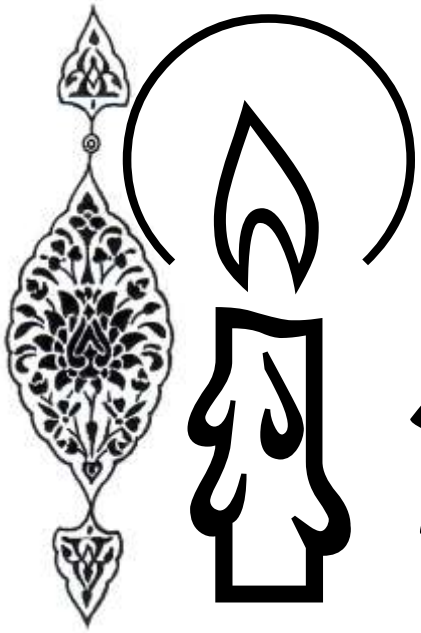

خَاتِمَة

خاتمة :

وفي خاتمة هذا البحث تم التوصل إلى نتائج منها :

– إن الشعر الثوري الجزائري واكب الثورة، وكان وسيلة دفاع قوية تمثلت في شحذ الهمم وبعث العزائم وقتل الفشل وإبادة الظلم والاستبداد الممارس على الشعب الجزائري.

– المتمعن بحق لما مارسه الاستدمار الفرنسي في الجزائر ليرى ظاهرة الحزن تفشت ايما تفش في المجتمع، وذلك لبشاعة المنظر وطريقة المستدمر المنتهجة في هذه البلاد (الجزائر) التي مثلت العروس الجميلة والكل يريد احتلالها.

– ظاهرة الحزن لا تأتي من الحروب وحدها، بل قد تأتي لنتيجة ما كموت عزيز أو فوات أمر جميل أو أفول (غياب) حبيب أو شعور بندم على تفريط حصل.

– والحزن ظاهرة قديمة حديثة، لاتعرف الزمكان ولم تحدد على عصر دون سواها، وإن تباينت عند الشعوب والأمم، والشاعر واحد من هؤلاء يصور الحياة بقلمه فيحاكي بل يجسد آمالهم وآلامهم، وإقامتهم وضعنهم، وفرحهم وقرحهم، فالشاعر الجاهلي بكى الطلل ورسم الدار، ولكنه لما يطرب بشيء آخر تنتابه نغمة التطريب والتنغيم فيشعر بالارتياح، أما الشاعر الحديث والمعاصر فتمازجت عنده الأقراح بالأفراح والتبسم بالبكاء والتشاؤم بالتفاؤل... لما آل إليه أمر الأمة العربية المستعمرة.

شعر مفدي زكريا كان متعدد الأغراض والمضامين والألوان، لكن الشعر البطولي الحماسي غلب على قصيدة لما له من روح ثورية، لكن على الرغم من هذا فإن مفدي وظف ظاهرة الحزن توظيفا جميلا يحتاج إلى تدبر وفرض تأمل ليستنطق من شعره، حيث هو خفي الدلالة لايطفو على السطح الشعري، يحتاج إلى قراءة تفكيكية تحليلية أكثر تربط بالزمان والمكان وملابسات الخطاب الشعري.

وقد كان مفدي زكريا شاعرا رومنسيا ملتزما جمع بين الجمال والإفادة، فالجمال من خلال توظيف الطبيعة، والإفادة من خلال الالتزام بقضايا الأمة الجزائرية.

ملحق

1- مولده ونشأته :

هو زكريا بن سليمان بن يحي الشيخ بن الحاج عيسى، ولد يوم الجمعة 12 جمادى الأول 1326هـ، الموافق لـ 12 جوان 1908، ببني يزقن[1]، من قرى ميزاب ولاية غرداية بالجنوب الجزائر]، كان والده تاجرا بمدينة عنابة، وجده كان رئيسا للاتحاد الميزابي، وأما عن أسرته فهي تنحدر من بني رستم أسسوا مدينة تيهرت وتعرف الآن بمدينة تيارت.[2]

زاول تعليمه بمسقط رأسه، حيث حفظ جزءا من القرآن ومبادئ اللغة العربية والفقه، ثم انتقل إلى عنابة وفيها أتم حفظ القرآن، ومنها بعث إلى تونس في البعثة الميزابية مع زملائه حيث التحق بمدرسة السلام القرآنية نال فيها شهادة ابتدائية في اللغة العربية ومبادئ في اللغة الفرنسية، لينتقل بعدها إلى الخلدونية التي درس فيها المواد العلمية، ثم التحق بجامع الزيتونة ونال شهادته وفيه سنحت له القرصة على الإطلاع على كتب ذات أهمية بالغة في النحو البلاغة والأصول، وقد أظهر مفدي حبا واجتهادا في التحصيل وذكاء خارقا ميزه عن صفوة زملائه، وهو السبب الذي جعل أستاذ الحطاب بوشناق يطلق عليه لقب مفدي، فأصبح لقبه الأدبي مفدي زكريا الذي اشتهر به.

لقد كانت نشأة مفدي نشأة إسلامية وطنية منذ نعومة أظافره، فقد ترعرع في جو كله حب الوطنية والعروبة ابتداء من أساتذته الذين كانوا حريصين على تكوينه سياسيا وثقافيا ودينيا إلى عمه الشيخ صالح بن يحي الوطني الثائر بالإضافة إلى شخصية الزعيم الوطني الكبير عبد العزيز الثعالبي، أخذ منه كل المبادئ التي رسخت في أعماقه حب الإسلام والوطن والعروبة وكره من يحاول المس لهذه المقدس، وجعل الدين عمادا وبنى

1 محمد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في الوقت الحاضر، دار بهاء الدين، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2007، ص 253.

2 حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، دت، ص 27.

عليه كل شيء وكان دائما يردد قول أستاذه الثعالبي "كفانا أن نحتفظ من ماضينا بالدين والأخلاق، وما عدا هما فإلى الدمار، إلى البوار".[1]

وبذلك تكون الشاب الوطني والرجل الثوري الصارخ في أعداء الوطن، وبعد خمس سنوات (1922-1926) قضاها في تونس مستفيدا من جوها الثقافي والسياسي علما وتجربة عاد إلى وطنه الجزائر، حيث دخل البحر الشهير "الزواج".[2]

2- حياته العلمية والسياسية :

لقد عمل مفدي زكريا أعمالا متنوعة ومختلفة، حيث عمل أجيرا بسيطا في المحلات تجارية ثم بائع للحليب ومشتقاتها، ثم كون جمعية سنة 1933 سميت "جمعية الوفاق"، وقد أسندت إدراة التحرير إليه أصدرت هذه الجمعية جريدة باسم "الحياة"، ولكنها لم تستمر طويلا، وما إن أتيحت له فرصة حتى انضم إلى صفوف العمل السياسي و الوطني، كان مناضلا نشيطا في صفوف جمعية طلبة شمال إفريقيا، حيث وجد مجالا خصما لآرائه السياسية، ثم أصبح عضوا مسؤولا في حزب نجم شمال إفريقيا فأختير سنة 1963، رئيسا للجنة التنفيذية وكان شعره سلاحا فعالا في مجال الإعلام والدعاية، وبعدها انظم إلى حزب الشعب سنة 1937، وترأس تحرير جريدة الشعب الدعاية إلى استقلال الجزائر، وقد حرر أغلب موادها وألقت السلطة الاستعمارية القبض عليه، وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية أفرج عن مفدي ولكنه كان ليخرج من السجن إلا ليعود إليه مرة أخرى، حيث اعتقل مرة أخرى سنة 1940 يتهمة المس بأمن الدولة الخارجي، وحكم عليه بالسجن لمدة 6 أشهر، وعندما تأسست حركة الانتصار للحريات الديمقراطية انظم إلى صفوفها، وما لبث فيها إلا أن دخل السجن مرة أخرى سنة 1949.

وفي سنة 1955 التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني مناضلا في خبايا الحزب بالعاصمة، ولعل أهم ما قام به في هذه الآونة هو نظمه لنشيد "قسما"، وفي سنة 1956 تم القبض عليه مرة أخرى وقد سجن ثلاث سنوات عرف فيها كل أنواع التعذيب النفسي

1 محمد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في الوقت الحاضر، ص 256.

2 محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة ، ص 08.

والجسدي، لكن هذا لم يمنعه من المشاركة بشعره وفي غيرها بعد إطلاق سراحه سنة 1959.[1]

3- شعره :

لقد سخر مفدي زكريا شعره لخدمة وطنه، فقد حاول أن يجعل من الأقلام الجادة مجاهدة تعمل على تنوير العقول التي حجبت الاستدمار نور العلم والمعرفة، وبين أن جهاد القلم لايقل في قيمته عن دور البندقية والرصاصة.

ولذلك نجد أن رومانسية مفدي زكريا غيره من الشعراء الوطنيين، إنها تألم شاعر من مأساة شعب، وبكاء فرد من شقاء مجموع ويمكن وصفها بأنها اتجاه فني ناتج عن واقعه، فهو يرى أن الشعر تعبير صادق عن إحساس الإنسان وعواطفه، وبأن الدمع لن يكون مسليا مجففا إلا إذا جاء في إطار شعري.

ويعتبر مفدي زكريا من عباقرة الشعر لنفسه الطويل وإمكانيته الفنية الكثيرة، رفض الشعر الحر وأعلن انتمائه للشعر الكلاسيكي، وذلك لما يتمتع به من قدرة لغوية متينة وتصميم قوي في عقيدته، حيث نجد "إن القرآن أحد المصادر الأساسية في ثقافته ولذلك لا يتخل عن ألفاظه ومعانيه لما للفظة من وقع خاص وأثر مميز "فهو يكتب شعره بإيمان عميق وبإلتزام صادق نزيه وبدون هذا الإيمان يصبح الشاعر مجرد ببغاء ما يقال له.

ولعل شعر مفدي زكريا من أقرب الأشعار التي عبرت وتغنت بالجزائر الثائرة من حيث الأبعاد التاريخية والفنية، حيث نجد دائما يتغنى بسحر وطنه وبطبيعته الخلابة، وفي افتتانه بالجزائر، فهو يسمو سموا فريدا يتخطى الجمال الحسي في الطبيعة بتخطيه الجمال الحسي في البطولة إلى صور خيالية مجنحة وإطلالات رائعة لا تخطئها المبالغة ولكن مبالغة مستحبة تجد لها من المواقف البطولية شفيعا ومن الثورة الصاعيدة إذ أتى بالتغلغل في النفوس".[2]

---

1 محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص 12.

2 صالح خرفي، الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص ص 254-255.

وهذا ما يدل على تعلق الشاعر بوطنه، ومدى غرامه به، وإدراكه الكبير أن التغني بالأرض وبكل شبر منها والالتصاق به بكل ذرة من ترابها، هو أساس الحياة، ودون ذلك تنعدم الحياةذ، فينعدم معها الوجود الإنساني الذي بدونها يصبح لامعنى له في هذا الوجود.[1]

وإن معظم و جل شعر مفدي زكريا كتبه في السجون والمعتقلات باعتبار أن مفدي زكريا في طليعة الشعراء الذين ذاقوا مرارة السجن أكثر من مرة، حاصة مقاله الأدبي بعنوان : "كيف نتحدى الموت أمام المقصلة"، الذي عليه مسحه من الشاعرية الرقيقة والإحساس النابض والذي صور فيه الحياة داخل السجن تصويرا دقيقا متناهيا يدل على مهارة الشاعر وقدرته الأدبية والفنية على التعلم في أدواته عند ترجمة انفعالاته إلى أفكار وأحاسيس في قالب فني يستطيع به أن يؤثر فنيا ويجعلنا نعيش التجربة التي عاشها.

ولقد خلد مفدي زكريا اسمه وصنع لنفسه مكانة في الدب وحتى في قلوب الجزائريين من خلال أشعاره وآثاره الدبية وخاصة التي كان موضوعها الثورة التحريرية الجزائرية، وبذلك فهي تمس صميم الشعب الجزائري خاصة والعربي عامة لما تحمله من إحساس صادق وقوي، فهو يتحدث عن ثورة خالدة مجيدة وعن أبطال طبعت أسماؤهم من ذهب في التاريخ، وقد خص بذلك النشيد الوطني "قسما"، الذي بقي صداه يتردد في الأفواه وفي المحافل الدولية.

وقد استطاع مفدي أن ينقل لكل العالم مآسي وضحايا الثورة التي دفنت باطنها أبناء وطنها، تحدث عن شعب دفع فلذات أكباده ثمنا للحرية، ولهذا يعد مفدي أحسن الشعراء تعبيرا عن الثورة، حيث كان لايختلف عنها أبدا.

1 مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجزائري، بن عكنون، الجزائر، دط، 1998، ص 113.

ولقد ذهب أنور الجندي إلى القول : "يعد الشاعر مفدي زكريا هو حافظ الجزائر إذا وصف محمد العيد بأنه شوقي الجزائري"[1]، ولذلك يمكن أن نضع مفدي في مكانة رائد الشعر العمودي في الجزائر بلا منازع في حركة الشعر الجزائري الحديث.

4- وفاته وآثاره :

اثر سكتة قلبية انتقل مفدي زكريا إلى جوار ربه يوم : 17 أوت 1977 بتونس، وقد طلبت من الحكومتين التونسية والمغربية إن تتولى دفن جثته في أرضها إلا أن الحكومة الجزائرية أبت عن ذلك، وبذلك انتقلت جثمانه بمسقط رأسه بواد ميزاب مغطى بالعلم الوطني الجزائري، وشارك في جنازته شخصيات سياسية ودينية من الجزائر أو بلدان أخرى.[2]

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه، وقد ترك لنا العلامة الكبير أثار نضالية أدبية وفكرية مختلفة معظمها مخطوطة أو تتوزعه الجزائد والمجلات في الوطن العربي.[3]

ويذكر مفدي زكريا في مقابلة له مع الصحفي الديب بلقاسم بع عبد الله في جويلية من سنة 1972[4] بأن له من الآثار الأدبية ما يلي :

- تاريخ الأدب العربي عبر القرون.
- تاريخ الصحافة الجزائرية.
- تاريخ الفلكلور الجزائري.
- أضواء على وادي ميزاب (دراسة تاريخية).
- نحو مجتمع أفضل.

حوار المغرب العربي الكبير في معركة التحرير.

- قاموس المغرب العربي الكبير (اللهجات).
- العادات والتقاليد في المغرب الواحد.

---

1 حواس بري، في شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ص 407.

2 رابح لونيسي، مفدي زكريا شاعر الثورة، دار المعرفة، ص 23.

3 عمر بن قينة، في الادب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1995، ص71.

4 محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص 22.

- الثورة الكبرى (أبوريت).

في العيد (رواية).

- عوائق انبعاث القصة العربية.
- مئة يوم ويوم في المشرق العربي.

يحتوي على تسع وعشرون محاضرة بالكويت، وقطر عن الثورة الجزائرية وتسع أمسيات شعرية بمصر ولبنان.

- الجزائر بين الماضي والحاضر (محاضرة سياسية ألقيت بالنعهد الخلدوني بتونس في سنة 1936).
- الصراع بين الشعر الأصيل والشعر الدخيل.

أما الدواوين الشعرية فهي كالتالي :

- اللهب المقدس.
- انطلاقة.
- من وحي الأطلس.
- تحت ظلال الزيتون.
- الخالق المعذب.
- إلياذة الجزائر.

إن هذا الحشد الهائل من الانتاج الفكري المتنوع، لم يصلنا منه للأسف الشديد سوى دواوينه المطبوعة المعروفة، اللهب المقدس له طبعتان، الولى في بيروت 1961، والثانية في الجزائر سنة 1983، قصة الشاعر للثورة، تحت ظلال الزيتون خصه الشاعر لتونس الخضراء طبع سنة 1965، من وحي الأطلس، إلياذة الجزائر نظمت في الملتقى السادس للفكر الإسلامي سنة 1972، بلغ عدد أبياتها 1001 بيت وبيت[1]، أما باقي الأعمال الأخرى فإنها ما تزال متأثرة في الصحف العربية أو في إذاعاتها ولا سيما في أقطار المغرب العربي.

1 حسن فتح الباب، شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا، الدار المصرية اليونانية، ص 09.

قائمة المصادر والمراجع

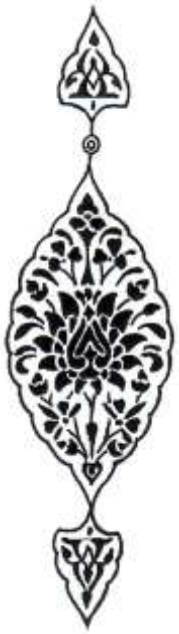

قائمة المصادر والمراجع :

*** القرآن الكريم.**

أ- المصادر :

1. مفدي زكرياء: اللهب المقدس، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2012.

2. مفدي زكرياء: إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتب، الجزائر، ط2، 1992.

ب - المراجع :

1. ابو القاسم الشابي: الديوان، تراسة وتقديم عزالدين اسماعيل، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، 1972.

2. أبوتمام: المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة، ب ت.

3. أبوفراس الحمداني: الديوان، دار صادر، ب ت.

4. اطفيش، الحاج محمد يوسف، تيسير التفسير، ج11، تحقيق محمد طلاي، المطبعة العربية، غرداية الجزائر، دط، دت.

5. امرؤ القيس: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1972.

6. بدر شاكر السياب: منزل الاقنان، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1963.

7. التبريزي: شرح القصائد العشر، مطبعة المدني، القاهرة، 1965، ص322.

8. التنبي: الديوان، مراجع وفهرسة يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2007.

9. جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة، الجزائر.

10. جميل بثينة: الديوان، شرح وتقديم بطرين البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1982.

11. حسان بن ثابت: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1978.

12. حسن فتح الباب، شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا، الدار المصرية اليونانية، دط.

13. حنا الفاخوري: تاريخ الادب العربي، المطبعة البوليسية، لبنان، ط2، 1953، ص94.

14. حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، دت.

15. خير الله عصار: مقدمة لعلم النفس الادبي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دط، 1982.

16. سعيد شوقي، محمد سليمان: توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، اشتراك للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط، 2000.

17. السكاكي أبويعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

18. السيد أحمد الهااشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبعديع، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، 2007.

19. السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج7، تح: عبد العالي سالم مكرم، عالم لكتب، القاهرة، ط3، 2003..

20. شريبط أحمد شريبط: مباحث في الأدب الجزائري، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1.

21. صالح خرفي: ابو القاسم خمار"بين ثورة الشعر وشعر الثورة" دراسة نقدية، جمعية الإمتاع والمؤانسة، الجزائر،2004.

22. صالح خرفي: أطلس المعجزات، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1982.

23. صالح خرفي، الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت.

24. عبد اللطيف شريفي، زبير دراقي، الاحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، دت.

25. عبدالرحمن المحمدي: تفسير سورة طه، مطبعة الفجر الجديد، ط1، 1990.

26. عبدالله ركيبي: الشعر في زمن الحرية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

27. علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، دار الفصحى، القاهرة، 1978.

28. عمر بن قينة، في الادب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1995.

29. محفوظ كحوال، أروع قصائد مفدي زكريا مع دراسة أدبية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، دط، دت.

30. محمد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في الوقت الحاضر، دار بهاء الدين، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2007.

31. محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، دار الشروق، ط6.

32. محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، دار العودة، بيروت، لبنان، ط6، 1981، ص55.

33. محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975)، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1984.

34. محمد ناصر: مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، ط2، 1987.

35. مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجزائري، بن عكنون، الجزائر، دط، 1998.

36. نزيه أبو نضال: الشعر الفلسطيني المقاتل، دراية في الواقعية الثورية، منشورات اتحاد الكتاب الصحفيين الفلسطينيين،دط،دت.

37. نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب)، دار هومة، الجزائر، ج1.

38. وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج13، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط1،دت.

جـ- المعاجم والقواميس :

1. ابن فارس، ابو الحسن احمد: معجم مقاييس اللغة، مادة (حزن)، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1979.

2. ابن منظور: لسان العرب، مادة (ح ز ن)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994.

3. الفراهيدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج3، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامري، دط، دت.

4. مجمع اللغة العربية المصري، المعجم الوسيط، باب (حزن)،ج1، دار الجمهورية للصحافة، دط، 1985.

هـ – المقالات والمجلات :

1. قاسم عبده قاسم: الشعر والتاريخ، مجلة فصول، الكويت، عدد2، 1983.

فهرس

الفهرس	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
مدخل : تحديد مفاهيم الدراسة	
أولا : مفهوم الحزن	06
ثانيا : الشعر الثوري	10
ثالثا : الحزن في شعرنا العربي	11
الفصل الأول : بواعث ومكونات المعجم الشعري في شعر مفدي زكريا	
أولا : التناص الديني	17
أ- القرآن الكريم	17
ب- الشخصيات الدينية	23
ثانيا : التناص الأدبي	25
ثالثا : التناص التاريخي	29
أ- الأماكن التاريخية	30
ب- أعلام التاريخ	31
رابعا : التناص الشعبي	33
الفصل الثاني : دراسة فنية لظاهرة الحزن في شعر مفدي زكريا	
أولا : الأسلوب ودلالته	42
1- أسلوب النداء	42
2- أسلوب الأمر	44
3- أسلوب الاستفهام	47
4- أسلوب التوكيد	52
5- توظيفه للضمائر	54
ثانيا : جمالية التصوير عند مفدي زكريا	56
1- توظيف الطبيعة	56

2- الأنسنة	57
3- التشييء	59
4- استحضار الماضي	61
خاتمة	64
ملحق	66
قائمة المصادر والمراجع	

ملخص البحث بالعربية :

الملخص:

تناولت هذه الدراسة بين ثناياها ظاهرة الحزن في الشعر الثوري الجزائري من خلال شعر مفدي زكريا، الذي خيم الحزن على قصيده، لكن لا يعرف إلا بقراءة تأويلية فاحصة ذلك أن الشاعر لم يبين حزنه للمتلقي.

وكانت دراسة جمالية فنية تمثلت في دراسة المستوى المعجمي أبرزت أهم الجوانب التصورية والجمالية والإيقاعية في شعره.

ملخص البحث بالفرنسية :

résumé

Cette étude contient entre ses plis phénomène du Chagrin dans le poème révolutionnaire algérienne a partir poème de Moufdi Zakaria , qui entoure par le charge mais il ne se connait qu' a sa lecture signification traitante Le poète ne fondit pas son chagrin au récepteur.

L'étude était esthétique artistique présentée dans le niveau l'lexique montre les importance des cotes esthétiques et musical dans son poème descriptive